الحزب الوطني المصري وابو ماضي

بقلم جورج ديمتري سليم

* * *

المقالة الثالثة

تطورت الحركة الوطنية في مصر ، أواخر ١٩٠٨ ، من حركة سياسية بحتة الى حركة سياسية اجتماعية تبغي اصلاح مصر اجتماعيا ، قدر ما كانت تبغيه سياسيا . فنشط الحزب الوطني – معتمدا على كفاءة اعضائه وغيرة مؤيديه في مجالين رئيسيين : مجال العمال وارباب الحرف ، ومجال التربية والتعليم .

اما العمال ، فأول ما قام به الحزب نحوهم – قبل دعوته الى وضع التشريعات لحمايتهم وانشاء نقابات لهم – هو انشاء مدارس ليلية مجانية لتنويرهم وتوعيتهم ، سماها « مدارس الشعب » . وافتتحت أولى هذه المدارس في حي بولاق بالقاهرة ، في ٧ – ١١ – ١٩٠٨ ، وتولى التدريس فيها كبار اعضاء الحزب ، وعلى راسهم الشيخ جاويش نفسه . وتبع ذلك افتتاح ثلاث مدارس مماثلة في ثلاثة احياء اخرى بالعاصمة .

وفي ابريل (نيسان) ١٩١٠ ، اتفق نخبة من الوطنيين في الاسكندرية على تأليف « جمعية مدارس الشعب » لانشاء هذه المدارس بالثغر . فوجه الصيدلي عبد الله محمد ، صاحب « اجزخانة عبد الله » المجاورة لجامع السلطان ، دعوة لاجتماع عام يبرز الجمعية الى حيز الفعل . وأسفر هذا الاجتماع ، الذي عقد عند الصيدلي مساء ١٣ – ٤ ، عن انتخاب لجنة تحضيرية للجمعية ، ثم عن انتخاب لجنة الجمعية وسكرتيرها ، وامين صندوقها ، في اجتماع اليوم التالي .

ولم يكن أبو ماضي قريبا الى هذه الجمعية عند تكوينها لان مركزها صيدلية متاخمة لدكانه ، ولكن ، كان من اوائل الذين قاموا لمناصرتها . فما كادت « الشعب » ، الناطقة بلسان الحزب الوطني ، تنشر في عدد ٨ – ٤ كلمة ، تحبذ فيها فكرة مشروع مدارس الشعب بالاسكندرية ، وتحث فيها اكابر الثغر وادباءه وسائر اهاليه الى تعضيد هذا المشروع ، حتى كان أبو ماضي قد نظم « هديتي الى مدارس الشعب بالاسكندرية » ، وبعث بها الى الجريدة ، فنشرتها هذه ، في عدد ٢٤ – ٤ ، ممهدة لها بالمقدمة الاتية :

« أرسل الينا حضرة الشاعر المجيد ، صاحب التوقيع هذه القصيدة العصماء ، وقد عارض فيها قصيدة الشاعر الكبير حافظ أفندي ابراهيم التي قدمها الى « جمعية رعاية الاطفال » (في حفل أقيم ٨ – ٤ – ١٩١٠ ، في دار « الاوبرا » بالقاهرة) . ولا ريب ان امثال هذه المواضيع الاخلاقية لما يجدر بالشعراء المجيدين طروقها ، بثا لروح الفضيلة في النفوس ، وتنمية لمكارم الاخلاق في الامة . فنثني على هذا الشاعر الفاضل ، ونأمل ان يكون لسائر شعرائنا جولة مشهودة في هذا الميدان المحمود . »

والقارىء لـ « هدية ابي ماضي » سيجد انها من الشعر الاجتماعي الذي – عرفه بدوي طبانة بقوله – « يعالج احوال المجتمعات الانسانية ، ويصف عللها وآلامها ، ويشرح امانيها ومطالب حياتها » . وسيجد قارؤها ايضا ان ناظمها كان مصدوع الفؤاد حينما ندب فيها حالة العمال ، وما جعله يختمها بهذا النداء الانساني :

فخذوا بناصرهم فان حياتهم ... في مازق حرج من الاهوال
ما اجدر الجهلاء ان يتعلموا ... فالعلم مصدر هيبة وجلال
فاسعوا لنشر العلم فيهم ، انما ... فضل الغمام يبين في الامحال
ان الجهول اذا تعلم واهتدى ... بث الهدى في صحبه والآل
يا قوم ، ان لم تسعفوا فقراءكم ... فلم ادخاركم اذا للمال
هلا رضيتم بالمحامد قنية ؟ ... ان المحامد قنية المفضال
او لستم ابناء من سارت بهم ... في المكرمات روائع الامثال
جودوا ، ففير الحمد غير مخلد ... ما المال ؟ ان المال طيف خيال

رأى الحزب الوطني ، حين انبرى لاصلاح مصر اصلاحا اجتماعيا ، ان التعليم هو عماد هذا الاصلاح الذي كان يهدف اليه ، او هو « خير دواء يصلح الخللا » – حسب تعبير أبي ماضي . فقام الشيخ جاويش ، وهو المربي الذي انقلب سياسيا ، بوضع برامج تعليمية عصرية لتقويم التعليم المصري في جميع مراحله وبكل أنواعه . ولم ينس هذا الشيخ الازهري ، وهو في غمرة التخطيط ، تحديث الازهر ، معهده الديني القديم ، وكذلك تعصير رجاله . فاوجد مشروع « البعثة الازهرية » الذي من شانه ان يرسل ازهريين بشكل منتظم الى فرنسا ، لتلقي علوم الرياضة ، والكيمياء ، والطبيعة ، والاقتصاد السياسي والتاريخ . ونجح المشروع ، وجمع له من المال ما سمح بارسال بعثة من ثلاثة مشايخ ، رافقها الشيخ جاويش .

وقبل ابحار البعثة من الاسكندرية ، في يناير « كانون الثاني » ١٩١١ ، أقام الوطنيون بالثغر احتفالا فخما لوداعها في فندق « متروبول » ، دعي اليه اماثل المصريين وذوو الفضل والعلم . وفي هذا الاحتفال انشد أبو ماضي قصيدة له مجهولة ، خاطب فيها المبعوثين فقال :

ويا ايها الظاعنون الكرام ... الى « الغرب » في طلب السؤدد
اذا ركبتم غداة السفين ، ... مطايا بني الارض ، في المزبد
واصبحتم في بلاد الالى ... متى ينذروا دهرهم يرعد
الا فاذكروا انكم امة ... على ضعفها جمة الحسد
وان « الكنانة » ترجو بكم ... نصيرا على الجائر المعتدي
تطالبكم « مصر » ان تعلموا ... الا فاعملوا ، يا رجال الغد
خذوا بالعلوم واسبابها ... فللعلم خير من المسجد
هو الكنز لكنه خالد ... اذا نفد المال لم ينفد
اخو العلم حر وان لم يكن ... وذو الجهل ما انفك في الاعبد
وكم اطلق العلم مستعبدا ... وكم خفض الجهل من سيد

وكم امة وجدت عزها   به ، وهي لولاه لم توجد
الم يك في الشرق مصباحنا   فلما فقدناه لم نهتد
الى الملتقى ، ايها الراحلون   فليس اللقاء بمستبعد
كفى « مصر » انكم رسلها   وحسبكم شرف المقصد

كان لعبد العزيز جاويش أثره في أبي ماضي كما كان له اثره في نخبة من شباب العصر . الا ان أثر جاويش في أبي ماضي ما كان نتيجة الاتصال الشخصي المباشر — فالظروف لم تتح للشاعر ان يتأثر بشخصية الشيخ كما أتاحته لتربه طه حسين (١٨٨٩ — ١٩٧٣) مثلا — وانما كان نتيجة قراءة ابي ماضي لنتاج الشيخ اليومي في الجرائد قراءة مستوعبة .

فعندما صدر القرار الوزاري في ٢٥ — ٣ — ١٩٠٩، لتقييد حرية الكتابة ، نشرت « اللواء » في اليوم التالي مقالة لجاويش ، جاءت فواتح فقراتها كما يلي :

« أيها القلم ، لو كنت سيفا لاغمدتك في صدور من يحاربونك

أيها القلم ، استلانوا عريكتك
أيها القلم ، أسكون بعد حركة ؟
أيها القلم !! اهذا آخر عهدك بالقرطاس ؟
أيها القلم ! تشيعك اليوم أفئدة ايقظتها
فلتكن ، ايها القلم ، كما شاءوا لك
وانت يا رب القلم ! »

ولقد اوحت هذه المقالة النارية — التي احدثت ردود فعل في ال « اجيبشيان جازيت » ، جريدة الاحتلال ، وفي جريدة « المؤيد » التي كانت وقتها موالية للسلطة الحاكمة — أوحت الى أبي ماضي ان ينظم قصيدة بعنوان « أيها القلم » وان يناجي فيها يراعه فيقول :

ماذا جنيت عليهم ايها القلم ؟   والله ، ما فيك الا النصح والحكم
اني ليحزنني ان يسجنوك ، وهم   لولاك في الارض لم تثبت لهم قدم
خلقت حرا كموج البحر مندفعا   فما القيود ؟ وما الاصفاد واللجم

الى ان يقول :

وارهقوا الصحف والاقلام في زمن   يكاد ... فيه الطرس والقلم

ولعل تأثير الشيخ جاويش يظهر جليا في تلك الابيات التي ندد فيها ابو ماضي بالربا وبالخمر . ففي اوائل سنة ١٩٠٨ ، تعرض الشيخ لموضوع الربا ، كما نوه عن الخمر، في محاضرات القاها بنادي دار العلوم ، لمدة اربعة عشريوما. ونشرت «المؤيد» اولى هذه المحاضرات ، مثنية على الشيخ ونشرت «اللواء» بقيتها . وكان ان استهل جاويش محاضراته متعجبا اشد العجب من الذين اصبحوا يشربون الخمر ... ويؤكلون الربا ولا يأكلونه ، فكانهم قضي عليهم ان يخسروا الدنيا والاخرة ..

وفي هذا المعنى نظم ابو ماضي ، فقال في قصيدته لمحمد فريد :

فليتقوا الله في « مصر » بلادهم   « كنانة» الله ذات المجد والحسب
بات المرابي مع الخمار يسلبها   هذا العقول،وهذا خالص النشب

وقال في قصيدته « الى الشبان المتفرنجين »:

أنهتهم الدنيا ، فهذا بالطلى   صب ، وهذا بالحسبان متيم
والخمر فاتكة ، فكيف بناعم   ترف ، يكاد من النسائم يسقم
قد اصبحوا وقفا على شهواتهم   يستسلمون لها ولا تستسلم
لم يفهموا معنى الحياة وكنهها   ان البلية انهم لم يفهموا

ووصف في « هديتي » ما شاهده في حانة ، اثناء سيره ليلا في احد شوارع الاسكندرية ، فقال :

فاستوقفتني ضجة في حانة   حسبت مقاعدها على الجهال
حاموا على الصهباء يرتشفونها   كالطير حول مصفق سلسال
نهب الكؤوس عقولهم ونضارهم   نهب المدبر الخادع الختال
امسى يسوق اليهم آجالهم   وحتوفهم في صورة الجريال
شر الشراب الخمر ، يصبح صبها   قيد الضنى، ويبيت رهن خبال

ثم يخاطب الخمار ، فقول له :

يا سالب الارواح ، بعض ترفق   يكفيك انك سالب الاموال
لا تدفعن تلك النفوس الى الردى   ان النفوس — وان صغرن — غوال

ولا يقف ابو ماضي عند هذا ، بل يحمل معه الى الولايات المتحدة ، اواخر ١٩١١ ، كرهه للربا . فيقول في قصيدة « خواطر شاعر » (نزوة ألم)، بعدما رأى عيانا حالة المهاجرين التعسة ، ورأى الربا فاشيا بينهم :

وما همي سوى شعب تعيس   شتيت الشمل ، جم الاضطراب
يحاول رزقه في المدن آنا   وآنا في السباسب والهضاب
ولو عرف السحاب يدر مالا   لاصبح راكبا متن السحاب
رمته الحادثات بكل سهم   وخدشه الزمان بكل ناب
فراح كانما هو شعب موسى   غداة التيه في القفر اليباب
نأى عن ارض « مصر » حذار ضيم   ففر من العذاب الى العذاب
بليتنا صحافي مراء   يداجينا ، ومالي مرابي

ويصعب علي ، بعد هذا القليل الذي عرضته ، ان اضيف شيئا مفصلا يوضح اثر جاويش في تكوين ابي ماضي الفكري . ذلك لان اثر الشيخ في شاعرنا اعمق من ان اقدر انا على سبره ، واشمل من ان اقوم بحصره . لهذا اجمل فأقول : ان جاويش ، بكلمة « الشعر والشاعر » التي كتبها لـ « وطنيتي » وبسببها سجن ، كان العامل المساعد ان لم يكن المسؤول الاول ، الذي عجل بابي ماضي الى الخروج من نطاق مفهوم الشعر والشاعر العتيق الضيق، الذي كان سائدا وقتذاك ، الى مفهوم جديد رحب ، مفهوم لم يغب لحظة عن بال شاعرنا منذ ان ترك مصر متجها الى امريكا . وقد مكن ابا ماضي من تحقيق هذا المفهوم في المهجر طبيعته المتقبلة للافكار ، التواقة الى الابداع، وطبيعة الادب المهجري نفسه النزاعة الى التجديد .

وثمة كلمة ثانية نلمس اثرها في « ديوان تذكارالماضي» بالذات ، هي كلمة محمد فريد التي اتحف بها « وطنيتي»، وبسببها سجن هو ايضا . هذه الكلمة ، « تأثير الشعر في تربية الامم »، التي كان ظهورها اولا في جريدة «الشعب» ٨—٦—١٩١٠ ، جاءت في ختامها النصيحة التالية :

« فعلى حضرات الشعراء ان يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح ... وان يستعملوا هذه المواهب الربانية في خدمة الامة وتربيتها ، بدل ان يصرفوها في خدمة الاغنياء ، والتقرب من الوزراء . فالحكام زائلون، والامة

باقية . والسلام على من سمع ووعى . ووفق لخدمة بلاده وسعى ، ف «ان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى .»

وانتصح ابو ماضي ، فخرج ديوانه المصري خاليا من قصائد المديح ، مرفوعا « الى الامة المصرية ، الامة الودود ... لا طلبا للمثوبة ، ولا ابتغاء للشكر ، ولكن اظهارا لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك ... ولقد يكون لي ان اهديه الى احد افرادك من ذوي الفضل، جريا مع العادة ، ولكني رأيت المجموع خيرا وابقى .»

كان على ابي ماضي ان يتفكر في مصيره في مصر حين رأى الضربات القواصم تتتالى على الحزب الوطني . فهو قد ارتبط بهذا الحزب ارتباطا مهما بدا لنا اليوم متواضعا ما كان ليغيب وقتذاك عن من تابع قراءة قصائد له في صحف الحزب المختلفة ، ومن تتبع نشاطه الوطني في الاسكندرية. واسترساله في وطنيته ــ في فترة من تاريخ مصر خضعت الصحف فيها للرقابة الشديدة وانتشرت شبكة الجاسوسية حتى بين الاصدقاء ــ اصبح محدقا بالمكاره والشدائد لا محالة . زد على هذا انه كان شابا هائما بالمجد ــ كما قال هو ، تائقا الى مركز في عالم السياسة ــ على ما نظن نحن ، فليس غريبا ، وقد شعر ان الظروف في مصر لن تؤاتيه بغيته ، ان يرجع صيف ١٩١١ الى موطنه الذي ظل يهواه ويحن اليه طوال سني اغترابه . قال ايام كان في الاسكندرية :

تحن الى بلاد الشام نفسي   اقطر الشام حياك الغمام
وما غير الشآم وساكنيه   لبانتنا ، وان بعد الشآم

وقال :

اشتاقه ، وكفى بشوقي انه   شوق الغريب الفرد للاوطان
واحبه حبي الحياة ، ومشبه   حبيه حب الزهر للبستان
قيدت قلبي في هواه ، فلم اعد   اهوى السوى اذ ليس لي قلبان

وقال :

اهوى بلادي دانيا او نائيا   اعلي في حب البلاد جناح
« لبنان» لست ابي،ولست فتاكان   صرفت فؤادي عن هواك رداح
زعم العواذل ان سلوتك، ويحهم   غير السلو لمن احب يتاح
ما ان هجرتك عن قلى ، لكنما   قلب الى نيل العلى طماح
« لبنان »، حسبي انني لك انتمي   وكفاك اني البلبل الصداح
اشدو بذكرك ما بقيت، ومرقمي   تجري به فوق الطروس الراح
قالوا: سكت. قلت: ليس بضائري   بعض السكوت كانه افصاح
فلربما صمتت شفاه ذوي الهوى   عمدا ، لكي تتخاطب الارواح

وقال :

بلاد قد طبعت على هواها   كما طبع الزمان على عنادي
احن الى لقائهم واصبو   كما حنت الى الماء الصوادي
يكاد الشوق ينقلني اليهم   لو ان الشوق ينقل غير باد
ترى ، هل عندهم اني ودهري   لاجلهم ابيت على جهاد
ففي ارق اذا غفلوا وناموا   وفي خوف ولو امنوا العوادي

وقال :

« لبنان » بلادي وكفاني   فخرا ان ادعى لبناني
وطني المحبوب له وقف   قلمي وحسامي ولساني
بابي « لبنان » ومن فيه   فبه وبهم يعلو شاني

أهتز لذكراه طربا   ما احلى ذكرى الاوطان
واكاد اعيد فاحسبني   نشوان ، ولست بنشوان
لكني صب يطربني   ما يطرب كل فتى عان
ردد ذكراه على سمعي   واترك نغمات الالحان
افنيت شبابي مغتربا   يا ويحي مغتربا فان

رجع ابو ماضي الى لبنان وهو متشبع بالروح الوطنية ، وعالم بحال وطنه الصغير . فقد تابع اخبار هذا الوطن وهو في مصر ، وزاره اكثر من مرة ــ على ما يظهر لنا ــ ما بين ١٩٠٠ و ١٩١١ ، وافرد له قصائد بكاملها ، مثل : « في سبيل الاصلاح »، و « نفثة مصدور»، و « حنين الغريب » .و « نجوى لبناني » ، تناول فيها مشاكل هذا الوطن . وكما ان حال لبنان لم تعجب اباماضي عام ١٩٠٨ ، فهي لم تعجبه ايضا صيف ١٩١١ :

كان لبنان ، منذ ١٩٠٧ ، تحت حكم يوسف باشا فرنكو ، المتصرف العثماني المرسل من قبل الاستانة . وكان يوسف باشا ــ كما قال عنه الياس الحويك ــ مستسلما لمحيطه واذنابه ، وواقعا تحت انتداب زوجته الحسناء... امتاز بممالأته الدولة (العثمانية) على خرق نظام لبنان، وفعل امورا كثيرة لم يكن النظام يجيزها ، ودون ان يأخذ موافقة المجلس .

اما الخوري ابراهيم حرفوش ، فقال : « ولم يحقق يوسف باشا الامال بما كان ينتظر منه من الحزم واصلاح الشؤون ، بل ظهر ضعيفا قاصرا في الادارة . وقد وقعت في ايامه حوادث هامة مشهورة .»

كان لا بد اذن لابي ماضي الشاب القائل :

اني امرؤ كلف بادراك العلى   دأبي الجهاد وغايتي الاصلاح

ان ينضم ، بعيد رجوعه الى لبنان ، الى حركة المعارضة ، وان يرفع صوته معها مطالبا بالاصلاح . ولم يرق هذا بعض اولي الامر ، فراح يناصب ابا ماضي ــ ومن هو منهم ــ العداء ، ويتهمه واياهم باشياء ، هو وهم منها براء :

وطن اردناه على حب العلى   فابى سوى ان يستكين الى الشقا
أمسى وامسى اهله في حالة   لو انها تعرو الجماد لاشفقا
او كلما جاء الزمان بمصلح   في اهله ، قالوا: طغى وتزندقا
راحت تناصبنا العداء كانما   جئنا فريا او ركبنا موبقا
وابت سوى ارهاقنا فكانما   كل العدالة عندها ان نرهقا
قيل اعشقوها ، قلت: لم يبق لنا   معها قلوب كي نحب ونعشقا
ان لم تكن ذات البنين شفيقة   هيهات تلقى من بنيها مشفقا

فلما صعد ابو ماضي نشاطه الاصلاحي ، لاقى في لبنان بلده خلال اشهر ما لم يلاقه ابدا في مصر مدة سنين. قال فيما بعد يصف ما لاقاه :

قومي ، وقد اطربتهم زمنا،   ساقوا الي الحزن والكمدا
هم هددوني حين صحت بهم   صيحاتي الشعواء منتقدا
ورأيت في احداقهم شررا   ورأيت في اشداقهم زبدا
وسمعت صائحهم يقول لهم: ان اقتلوه حيثما وجدا
فرجعت احسبهم برابرة   في مهمه ، واظنني ولدا
مرت ليال ما لها عدد   وانا حزين باهت كمدا

ارتاع ان ابصرت واحـــدهم ذعر الشويهـة ابصرت اسـدا
واذا رقـدت رقـدت مضطربا واذا صحوت صحوت مرتعدا
لا تذكروهم لـبي ، وان سـالوا لا تذكـروني عنـدهـم ابـدا

امام هذه التهديدات وهذه الحال ، لم يبق امـام ابي ماضي الا الرحيل عن لبنان خوفا على نفسه من «سياسة (يوسف باشا)الانتقامية من معارضيه وممن ينتمون اليهم». ولكنه لم يشأ ان يرحل دون ان يهاجم ، للمرة الاخيرة ، «السلطات والاوضاع الشاذة التي كان الوطن يعيـش فيها .» فنظم قافيته الجارحة « وداع وشكوى » ، وعرضها على استاذه القديم الشيخ ابراهيم المنذر ، الذي قـاد عام ١٩٠٨ معارضة شعبية عنيفة ضد المتصرف . فهذبها المنذر له ، والقاها ابو ماضي في احدى المناسبات ، ثـم ابحر بعدها على الفور هاربا الى الولايات المتحدة «لعلـه بالغرب ينسى المشرقا» . وبعد رحلة استغرقت عشريـن يوما ، نزل ابو ماضي اواخر ١٩١١ في مدينة نيويورك ليختم بعدها قافيته المقذعة قائلا :

اصبحت حيث النفس لا تخشى اذى ابـدا، وحيـث الفكر يغـدو مطلقا
نفسي اخلدي، ودعي الحنين، فانما جهـل بعيـد اليوم ان تتشوقـا
هذي هي«الدنيا الجديدة» فانظري فيها ضياء العلم كيـف تـالقـا
انـي ضمنت لـك الحياة شهية في اهلهـا ، والعيش ازهر مونقا

وبختام هذه القصيدة التي نشرتها له مجلة «الزهور» القاهرية يونيو (حزيران) ١٩١٢ ، وصادف نشرها فشـل فرنكو في تجديد حكمه ورحيله النهائي عن لبنان في الشهر التالي ، ختم ابو ماضي – في رأينا – اخطر مراحل حياته . فقد كانت المرحلة الشرقية ، او بالاحرى المرحلة المصرية من حياته ، هي مرحلته المصيرية التي فيها غرس «خمائله» ، ومنها جرت « جداوله ».

مراجع المقالات الثلاث

١ – « الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الادب العربي المعاصر : عبد العزيز جاويش ، ١٨٧٢ – ١٩٢٩ » تأليف سالم عبد النبي قنيبر . بنغازي ، دارمكتبة الاندلس ، ١٩٦٨ .

٢ – « امير شعراء المهجر : ايليا ابو ماضي ، ١٨٨٩ – ١٩٥٧ » بقلم جرجي ابراهيم نصر ، «المشرق» ، بيروت تشرين الثاني – كانون الاول (نوفمبر – ديسمبر) ١٩٦٩ ، ص ٦٤٧ – ٦٦٠ .

٣ – «ايليا ابو ماضي يقول ...» بقلم خيرية خيري، « الجيل »، القاهرة ، ١٤–١١–١٩٥٥ ، ص ٣٥.

٤ – « خمسة من شعراء الوطنية : احمد محـرم، احمد نسيم ، احمد الكاشف ، عبد الحليم المصري ، علي الغاياتي ». القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣.

٥ – « ديوان ايليا ابو ماضي ، الجـزء الثاني » . نيويورك ، مطبعة « مرآة الغرب » اليومية ، ١٩١٩.

٦ – « ديوان تذكار الماضي » نظم ايليا ظـاهر ابو ماضي . الجزء الاول . الاسكندرية ، المطبعة المصرية، ١٩١١ .

٧ – « الزهـــور » ، القاهرة ، ١٩١٢.

٨ – « الشعب » ، القاهرة ، ١٩١٠ .

٩ – « شعر » للشيخ ابراهيم المنذر . الجزء الاول. بيروت ، منشورات مكتب الدراسات العلمية ، ١٩٧٣.

١٠ – « العرب والترك في العهد الدستوري العثماني: ١٩٠٨ – ١٩١٤ » تأليف توفيق علي برو . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ .

١١ – « العلم » ، القاهرة ، ١٩١٠ .

١٢ – « عهد المتصرفين في لبنان : ١٨٦١ – ١٩١٨ » بقلم لحد خاطر . بيروت الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٧ .

١٣ – « محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية : تـاريـخ مصر القومـي مـن سنـة ١٩٠٨ الـى سنة ١٩١٩ » بقلم عبد الرحمن الرافعي . ط٣. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ .

١٤ – « مرآة الغرب » نيويورك ، ١٩١١ و ١٩١٢.

١٥ – « مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية :تاريخ مصر القومي من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٨ » بقلم عبد الرحمن الرافعي . ط٤ مزيدة ومكبرة . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢.

١٦ – « وطنيتي » بقلم علي الغاياتي . ط ٣ القاهرة، مطبعة « منبر الشرق »، ١٩٤٧.

١٧ – اشعار لابي ماضي مخطوطة لم تنشر .

واشنطن جورج ديمتري سليم

لقاء

امس التقينـا ، بعـد طول الغياب
وكـان قلبـي مثقـلا بالعـذاب
فقلت ، والفرحـة في اضلعـي
اهلا ، وسهلا ، بالهوى ، والشباب
مـن اين اقبلت ، أمـن عـالـم
ممـوج بالدفء ، جـم الـرغـاب
وددت ، لـو اغفـت علـى جبهتي
تلك الرؤى ، وانجاب ذاك العتاب
فاومـات ، والسحر فـي جفنهـا
وثغـرها الـوردي ، نبع اضطراب
وتمتمت ، يـا شـاعرا ، ضائعـا
ايـامه الخضراء ، ليـل اغتـراب
الحب ، لا يشفيـك مـن لوعـة
فاركض وراء الحلم ، تجن السراب

السلمية – سورية انور الجندي

يا جيرة العاصي

زكي قنصل

انشدها الشاعر في حفلة تكريمية اقامتها الجالية على شرفه في النادي الحمصي ببوانس ايرس

●

ردوا الي فصاحتي وبياني   يا خانقين بجودكم الحاني
ما خانني قلبي ، ولكن خانني   في وصف آلاء الربيع لساني
او ليس تشجيكم رطانة شاعر   حيران بين الحور والولدان
رقص الجمال على الربى فتضاحكت   روحي ، ورف على خطاه جناني
لكنني لما استعنت بريشتي   ادركت اني فاضح شيطاني
عذري ، وقد قصرت في مضماركم ،   اني اغالب حملة الطوفان
انا من سخاء نفوسكم في جنة   ويداي بين .... والريحان
هل طاب الا فيكم شدوي وهل   كفكفت الا عندكم احزاني
جار الزمان علي ثم امتنه   لما نشرت بظلكم سلطاني

اني لاهزأ بالقيود تعضني   وتفل عنقي بسمة استحسان
وقد اضيق بمادح متكلف   وتثير حملة صادق عرفاني
انى ذهبت سعى الي جميلكم   كالشمس تغمرني بكل مكان
أأقول ازهار الرياض حسانكم   اخطأت في التشبيه والتبيان
الزهر يذهب في الخريف بهاؤه   وزهور حمص يعشن في ريعان
ان يختلفن فكلهن ((بثينة))   رغم اختلاف العطر والالوان
يخمدن باليمنى رعونة ثائر   ويثرن باليسرى حمية وان
تغريدهن ، اذا غضبن ، زمازم   وهزيمهن ، اذا رضين ، اغاني
حولن صحراء الحياة حديقة   وجعلن بسمات السماء مجاني
آمنت ــ لما اسكرتني نفحة   من روضهن ــ بجنة الرحمان

يا من يفاخرني بعزة قومه   منع الرسول عبادة الاوثان
الجاهلية ادبرت .. وتقلصت   اسطورة الاسياد والعبدان

لا اعرف الانسان في سرائه   وبلائه الا اخا الانسان
لكن اذا اعتز البغاث فان لي   نسبا يمت الى بني غسان
هذي الوجوه الضاحكات وجوههم   ويموج في بردي شذا حسان
ينشق عن شعري الصباح ويزدهي   جيد الضحى بزمردي وجماني

قسما بعيني ظبية عربية   تختال في قلبي وفي اجفاني
سميتها غلواء صونا لاسمها   من ناب هاذرة وظفر جبان
اني لاشعر ان عزي عزكم   وهو انكم في النائبات هواني
ابكي فيجري خلف دمعي دمعكم   وتهللون فتنتهي اشجاني
انا سعفة الزيتون في اعيادكم   وحسامكم في ساحة البرهان
كرمي لما اشتم من ريحانكم   لأجر ذيل الصفح عن ظربان
ما دمت اقتحم الجاهل باسمكم   من ذا يجاريني من الاقران

الله يشهد ليس لي في مدحكم   غرض اذا ابديته اخفاني
المال في نظري هواء اصفر   يصمي جناح الشاعر الروحاني
قارون من طين ، فلا يكبر على   راعي الشياه وسائق الاظعان
كم في قصور الاغنياء فواجع   سود ، وفي الاكواخ بيض اماني
قد تشتري بالمال السنة الورى   وتظل عندهم الاثيم الجاني
من كان يصطنع المديح باجرة   سهل عليه الشتم بالمجان

يا جيرة العاصي رفعتم للعلى   صرحين من ادب ومن احسان
يبني سواكم للزوال ، وانتم   تبنون للاجيال والازمان
ويغيث غيركم القريب ، وعندكم   لا حد يفصل قاصيا عن دان
ليس الذي يعطيك مدفوعا كمن   يعطيك عفو الطبع والوجدان
واذا النفوس على الجميل تزاحمت   ميزت بين الزور والايمان
كفي التي بذلت تعيش غنية   ويدي التي جمعت لفي حرمان
هذا البناء المشمخر على الذرى   ان لم تخلده الفضيلة فان
ايان سرتم فالقلوب منازل   لكم ، وحبات القلوب دوان
لا يجمع الانسان من بستانه   الا الذي يلقيه في البستان
لو لم تكونوا في المكارم قدوة   لم تنزلوا اهلا على اخوان

باسمي وباسم عشيرتي لا تعتبوا   ان شاه تصداحي وساء بياني
ضيعت في حرب التجارة عدتي   فتهجاوا في دمعتي شكراني

بوانس ايرس ــ الارجنتين   زكي قنصل



نقـولا يوسف

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ ـ ١٩٣٧

بقلم نقولا يوسف

* * *

مدينة طنطا(١) قاعدة « محافظة الغربية » بالديار المصرية ـ او « طندتا » في بعض الكتب القديمة العربية ـ من السمات والاشعاعات ، ما جعل لها طابعا مميزا بين اخواتها العربيات ... فهنا في هذه البقعة الآهلة العامرة ، تتحلقها حقول دلتا النيل الشاسعة ، واريافها الساذجة الزاهرة ،وتلتقي عندها خطوط المواصلات من كل ناحية ... ويخالط عنصر المدينة الحضري ، عنصر الريف العتيق الريفي ..وتجتمع الوان الجديد ومستحدثاته ، مع تقاليد القديم وموروثاته .. ويعبق في الفضاء عطر الريف ، وشميم البلدة ، وبخور المعبد . هنا يتجاور عالمان ويمتزجان : هذا العالم الدنيوي المادي ، واخر ديني روحي .. تطل عليهما من الاعالي ، مآذن المسجد الاحمدي،منارة المدينة وكعبة حجيجها ،ومثوى الزاهد المغربي السيد احمد البدوي ، الذي وفد الى طنطا في القرن الثالث عشر الميلادي ، وعاش بها وتزهد وعلم ، ودفن في ثراها عام ١٢٧٦ م وما زالت مهرجانات «مولده» تقام منذ حوالي سبعمائة عام ..

وقد اتسع نطاق المسجد وتجدد وذاع صيته ، وضم معهدا دينيا علميا يتلقى فيه الوف الطلاب العلوم الدينية والفقهية واللغوية ، على رهط من علماء الجامعة الازهرية . وعلى هامش هذه الدنيا الصغيرة تتبعثر جماعات الزراع والتجار ، والصناع والزوار .. وباعة كتب الحكايات والمنظومات من كل صنف ، الى جانب حمص وحلاوة السيد ...

من اعماق هذا المجتمع الطنطاوي خرج على مر العصور جمع من المشتغلين بأدب الدنيا والدين ..

وقد اشتهر العالم الفقيه حسن الطندتائي (المولود في طندتا اي طنطا والمتوفي عام ١٤٨٣م) ، والشيخ محمد الطنطاوي (١٨١٠ ـ ١٨٦١) وقد تعلم وعلم في الازهر ، ثم دعاه قيصر روسيا يومذاك لتعليم اللغة العربية في « بطرسبورج » ـ ووضع كتابا في ادب الرحلات سماه : « تحفة الاذكياء في اخبار بلاد روسيا » ـ ومنهم شيخ الغناء والانشاد في عصره ، المطرب عبده الحامولي(١٨٤٣ـ ١٩٠١) والفيلسوف المعاصر ، الاستاذ الجامعي يوسف كرم صاحب المؤلفات والابحاث الفلسفية .. كما اشتهر من اهل هذه المدينة في عصرنا هذا العالم الباحث الكيماوي المرحوم دكتور احمد رياض تركي (١٩٠٢ ـ ١٩٧١) رئيس المجلس الاعلى للبحوث العلمية ووزير البحث العلمي بمصر عام ١٩٦٤ . ثم الكاتب الشاعر مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ ـ ١٩٣٧) الذي امضى بطنطا معظم حياته ، منذ طفولته حتى وفاته .. واتخذها مركزا لاسفاره وتنقلاته : لاهيا في طرقاتها ، مترددا على مسجدها ، ساهرا في قهواتها ، موظفا في محكمتها ، مكبا على ما في مكتب ابيه القاضي الشرعي من كتب دينية وشرعية وفقهية وادبية ... ومشتغلا بالكتابة والنظم والتأليف ، ومراسلة الصحف والاصحاب .. متأثرا ببيئته ونشأته واسرته المحافظة على التقاليد ، مسايرا احيانا تيارات العصر الجديد .. ومخلفا اربعة دواوين من الشعر المنظوم في مختلف الاغراض (ديوان الرافعي في اجزائه الثلاثة ، وديوان النظرات) ونحو عشرة مؤلفات نثرية مطبوعة ، شمل بعضها رسائله الادبية الخيالية التي دبجها في شعر منثور منظوم ، يوجهها الى الحبيبة ، ويتلقى منها الرد في بريد الخيال ، كما في كتابه « رسائل الاحزان » وتضمن بعضها فصولا اشبه بقصائد الشعر المنثور مثل « حديث القمر » و « اوراق الورد » ومنها ما يغلب عليه الطابع القصصي مثل «المساكين» و « السحاب الاحمر » ... ثم مقالات شتى في « وحي القلم » ذي الاجزاء الثلاثة ، تعالج المسائل الادبية والدينية والاجتماعية .. ومؤلفه « تاريخ آداب العرب » وبحثه الديني المشهور « اعجاز القرآن » .. ثم كتاباه النقديان « تحت راية القرآن » في نقد طه حسين ، و « على السفود » في نقد عباس محمود العقاد ..

وقد نشر الرافعي جل قصائد هذه الدواوين ، وفصول تلك المؤلفات ، خلال الاعوام الثلاثين الاخيرة من

حياته ، في عدد من الصحف والمجلات العربية التي عاصرها ، ومنها مجلات : البيان ، والمقتطف ، والرسالة ، والضياء ، والثريا ، والصاعقة ، والمضمار .. وصحف : الجريدة ، والبلاغ ، والسياسة ... وغيرها ... ثم كانت هذه الفصول تجتمع في مجلدات تظهر تباعا حاملة العناوين السالفة الذكر ، ويتناولها الاصدقاء بالتقريظ والثناء ، وغيرهم بالنقد او بالهجاء كما تجري العادة مع الكثير غيره من الادباء ..

وكنا في العشرينات والثلاثينيات ــ ايام الصبا وفجر الشباب ــ نحتفي بالانشاء العربي الفصيح ، والنثر الفني البليغ ، كما عودنا شيوخ اللغة في المدارس .. منا من يتهافت على قلم مصطفى لطفي المنفلوطي السلس الرشيق او على منثورات المويلحي ، وابراهيم اليازجي ، وعبد العزيز البشري ، واحمد حسن الزيات ، وحافظ ابراهيم (في البؤساء) ... وغيرهم من المنشئين المحدثين البلغاء ... ومنا من كان يستملح اسلوب الرافعي الفني بالاخيلة الشعرية والتشبيهات والكنايات ، والبديع والبيان ، حيث يتأنق الكاتب في اختيار اللفظ ، وسبل العبارة ، كما يفعل الصائغ المفتن في صنع حليه وترصيعها بالنصوص المنتقاة ، وفي اداء قوي مكتسب من التراث القومي ، تؤججه غيرة على اللغة الفصحى كما ورثها الاسلاف الى الاحفاد ، مع غير الخضوع المطلق للانماط والقوالب ، ورغبة في معاونة الطلاب على الانشاء القويم واللسان السليم ..

واستطاع قراء الرافعي ان يتعرفوا من خلال آثاره المنثورة والمنظومة على اتجاهاته الادبية ، ونزعاته النفسية ، واهتماماته الفكرية ، ولكن المعروف ان هذه الآثار المنشورة ، ومثلها آثار الاغلبية من الكتاب ، لم تكن يوما ــ مع اهميتها في الدلالة عليهم ــ وثائق مؤكدة في استجلاء بواطن حياتهم ومواطن اخلاقهم .. ولهذا عندما نشر احد اصدقاء الرافعي ــ الكاتب الاديب محمد سعيد العريان (المتوفي عام ١٩٦٤) كتابا بعنوان : « حياة الرافعي » وذلك عام ١٩٣٨ مشتملا على الكثير من دقائق حياته ، وخلقه وصفاته وعاداته ، تلقفه النقاد واستعانوا به في دراسة سيرته .. وكان الاستاذ العريان قد لازم صاحبه في اخريات حياته نحو اربع سنوات ، سجل فيها ما سمعه منه وما رآه ، فجاءت ترجمته امينة في جملتها ، وان كان قد انساق الى تصديق بعض الحكايات مثل حكاية الحب المتبادل بين الرافعي والكاتبة المعروفة مي زياده (المتوفية عام ١٩٤١) وشايعه في ذلك بعض الكتاب ، ومنهم من ادرك انه حب عذري من جانب واحد ، هو جانب الرافعي ، المشبوب العاطفة والخيال .. (٢)

وفي عام ١٩٥٠ هبط على النقاد مرجع اخر ، اضيف الى ما لديهم من آثار الرافعي واخباره ، فسد الكثير من الثغرات التي كانوا يصادفونها في تصوير شخصيته ونفسيته .. وكان كتابا بعنوان « رسائل الرافعي » ــ جمعه ورتبه مريده « محمود ابو رية » ــ وتضمن ١٣٢ رسالة خاصة مما ارسله اليه الرافعي منذ تعارفا عام ١٩١٢ واستمرت المراسلة بينهما حوالي ربع قرن ، وبلغ ما جاءه من الرافعي بقلمه ، كما يقول (٣) حوالي خمسين وثلثمائة خطاب « منها حوالي ثلاثة وستين ومائتين يصح اذاعتها بين الناس لما فيها من تفصيل شامل لتاريخه الادبي وغير الادبي .. » ومع ذلك فلم ينشر الاستاذ « ابو ريه » في هذه الطبعة الاولى غير هذا العدد السالف الذكر ، كما انه تجنب ذكر بعض الاسماء وحذف بعض الكلمات .. وتمنى النقاد ان ينشرها كاملة في طبعة ثانية ، وان ينشر غيره ما لديهم من رسائل اخرى من اجل الحقيقة والتاريخ ، والواقع ان النقاد انتفعوا بهذه الرسائل في كتابتهم عن الرافعي بالرغم مما حذف او احتجب منها .. (٤) .

فعلى قول جامعها « ان الرسائل الخاصة بالعظماء والعلماء وارباب القلم مما يحرص عليه المؤرخون ، لانها هي التي تفصح عن دخائل نفوسهم ، وتميط اللثام عن حقيقة تاريخهم .. » ــ ثم يقول عن رسائل الرافعي هذه : « .. وقد اظهرت هذه الرسائل الباعث على تأليف كل كتاب من كتبه ، وقوته في التأليف والانشاء ، واجتهاده في اللغة والنحو ، وما كان على نية اصداره من كتب ورسائل .. وانه وقد حسرت اللثام عن وجه الحقيقة فيما اختلف الناس فيه من امر عواطفه وحبه لجمال النساء ، ذلك الحب الذي نشأ من صدر حياته في المنصورة ثم في الشام ، وفي القاهرة . وان كتابه « حديث القمر » قد وضع في فتاة احبها بالشام ، وان لفظ القمر تورية .. وان حبه للانسة مي ، وان كان حبا عميقا بلغ شغاف قلبه ، فانه لم يكن حبا ماديا .. وانما كان حبا روحانيا .. ويحسبك ان ترى من آثار هذا الوحي كتاب « اوراق الورد » ... »

ويرجع اصل اسرة الرافعي ــ كما تنص هذه المراجع ــ الى مدينة « طرابلس الشام » في شمال لبنان وفي عام ١٨٢٧ رحل احد افراد هذ الاسرة الشيخ محمد الطاهر الرافعي الى مصر حيث عين قاضيا للحنفية .. ثم توالت هجرة افراد اخرين اشتغل بعضهم قضاة في المحاكم الشرعية ، والبعض معلمين لمذهب ابي حنيفة .. وكان منهم والد اديبنا مصطفى الرافعي وهو الشيخ عبد الرازق الرافعي ابن الشيخ سعيد الرافعي ، وقد عين قاضيا لمحكمة طنطا الشرعية ، فاقام بطنطا الى يوم وفاته ..

والدة مصطفى الرافعي ابنة لتاجر حلبي سوري اسمه الشيخ الطوخي ، اقام في مصر ، وتاجر بينها وبين سورية ، وسكن قرية « بهتيم » من اعمال القليوبية واقتنى بها ضيعة ، وهناك ولد اديبنا مصطفى الرافعي في يوم من شهر يناير عام ١٨٨٠ ثم عادت به امه الى طنطا ليقضي

في بيت ابيه معظم العمر ، ولتصبح هذه البلدة مدرج طفولته ، ومسرح شبابه ، ومقر عمله ..

وظل الطفل يتلقى عن والده مبادىء اللغة العربية ، ويحفظ القرآن الكريم ، حتى عام ١٨٩٢ ، وكان في الثانية عشرة من عمره ، حين لحق بالمدرسة الابتدائية بدمنهور ، وقضى بها عاما ثم انتقل مع ابيه الى مدينة « المنصورة » عندما عين الاب قاضيا في محكمتها ، فادخل احدى مدارسها ، ونال منها « الشهادة الابتدائية » عام ١٨٩٧ والم بمبادىء اللغة الفرنسية ، ووقف من التعليم المدرسي عند هذا الحد ليواصل التثقيف الذاتي بقية العمر ...

وكان قد اصيب بحمى اثرت على صوته واذنيه ، ثم تحنت الاوتار الصوتية ، وظل وقر الاذنين يتضاعف حتى ذهب بمسمعيه وهو على اعتاب العقد الثالث من عمره .. وامسى بقية حياته لا يسمع من يخاطبه ، ويجيب من معه عن طريق الكتابة .. (٥)

ولا شك ان عاهة الصمم قد تركت اثرا في مجرى حياته فهي وان لم تعقه عن تذوق الحياة بقية الحواس ، وبخاصة مشاهدة مناظر الطبيعة وصور الجمال ، ومطالعة الكتب وسائر المطبوعات وتبادل الرسائل ، فانها حالت بينه وبين دنيا الالحان والانغام واحاديث الاصدقاء والاحباب ، ونفرته من المخالطة والمجتمعات ، فلجأ الى عالمه الباطني المحفوف بالسكينة والصمت ، حيث تذكو الاحلام والتأملات ، والى صحبة الكتاب والقلم ، يخلو بهما في البيت والحديقة والمقهى والقطار ، لا فرق فالصمت حوله في كل مكان ، فان شاء الخروج عن انطوائه والتفرج بدنيا الناس ، ففي المقهى وفي الطريق معرض جامع شامل لمخلوقات الله وجميل صنعه .

وامامه مكتبة ابيه عامرة بالكتب الدينية والفقهية والادبية ، يغترف منها ما شاء ، بدأ بحفظ القرآن الكريم ودرس التفسير ، واستوعب « نهج البلاغة » لعلي بن ابي طالب و « الكامل للمبرد » ، و « الاغاني » للاصفهاني ، وكتابات ابراهيم اليازجي ، ودواوين شعراء العرب ، قبل ان يقبل على مؤلفات المحدثين ومجلات عصره ..

وكان قد بدأ حياته الوظيفية منذ التاسعة عشرة من عمره (عام ١٨٩٩) فشغل وظيفة صغيرة بمحكمة طلخا الشرعية (البلدة المواجهة لمدينة المنصورة) وكان يتقاضى منها اربعة جنيهات شهريا .. وفي طلخا كان يقيم يومذاك الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي حين ارتحل الى مصر ، وكان في نحو الثلاثين وهناك تعرف به الرافعي ، وظلا صديقين بقية العمر ..

ثم انتقل الى محكمة « ايتاي البارود » الشرعية ، وراح يتنقل بينها وبين بيته في طنطا ، حتى انتقل الى محكمة طنطا الشرعية ، ثم تحول الى محكمة طنطا الاهلية لزيادة المرتب ، وكان عمله تقدير رسوم القضايا ، وبقي في وظيفته هذه كاتبا في الدرجة السادسة الى يوم وفاته (مايو ١٩٣٧) فكانت المدة التي قضاها في تلك المحاكم ثماني وثلاثين سنة ، ولم يبلغ بعد سن التقاعد ، وظائف صغيرة لرجل لا يحمل الشهادات المدرسية الرسمية ، ولا تمت الى هواياته الادبية واهتماماته القلمية بصلة ، اتخذها وسيلة يضمن بها كفاف يومه من الرزق .. ومع ذلك لم تصرفه عن الاشتغال بالادب ، وكتابة تلك المئات من القصائد والمقالات التي تضمها مؤلفاته ..

وتزوج الرافعي عام ١٩٠٤ من شقيقة صديقه المرحوم عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة « البيان » الادبية بالقاهرة ، والازهري السري الشغوف بالادب مثله ، وعاش معها راضيا سعيدا ، وكانت الزوجة الوفية التي هيأت له الجو الامثل للتفرغ لاعماله الادبية ، وعاونته على تربية ابنائهما وتهذيبهم ، اسرة محافظة مستقيمة ..

ومع ذلك فقد كان الرجل ، كما تكشف رسائله الخاصة الى صديقه « ابو ريه » دائم الشكوى من علله الجسدية ، وامراضه العصبية ، ومن حياته الوظيفية ، ومسؤوليات الاسرة ، مما يلهيه عن اعماله الادبية التي يود التفرغ لها في جو من الراحة والهدوء ... ولعل التجاءه الى ممارسة الرياضة البدنية ، والسباحة في البحر كلما اصطاف بالاسكندرية ، وكتابة المقالات الرياضية بمجلة « المضمار » ، واعجابه بالرياضي الفرنسي « صاندو » ، كانت مجاهدات في سبيل الابقاء على القوة التي يصارع بها علله ، الى جانب ايمانه القوي بالله وكتابه ورسله ، مما كان يضاعف احتماله وجلده ، ومقاومته وامله ..

والحديث عن هذا الاديب ، لا يعدو الكلام عن انسان شاعر وهب النزعة الشعرية منذ صباه ، وشبت معه تغذيها التجاريب ، وتبلورها المؤثرات التي يصادفها في حياته ، دون ان تخبو في نفسه ، فكان شاعرا في كتاباته المنظومة والمنثورة ، شاعرا في تصرفاته وتصوراته ، شاعرا في حبه وبغضه ، وسلمه وحربه .. ولهيامه بالجمال وبخاصة الجمال النسوي ، ساد معظم نظمه ونثره التغني بالجمال والجميل ، والحب والمحبوب ، وفاضت دواوينه بقصائد الغزل والنسيب ، ومؤلفاته النثرية برسائل الغرام التي يتبادلها في الخيال مع الحبيب .

كان حبه الاول وهو في نحو العشرين حين تعلق

---

(١) من كلمة ارتجلت في ندوة اقيمت لذكرى الرافعي بقصر الثقافة بالاسكندرية مساء ١٧-٧-١٩٧٤ . (٢) كتاب « حياة الرافعي لسعيد العريان - ١٩٣٨ - وكتاب « الرافعي ومي » لاحمد هاشم حافظ ١٩٦٤ (ترجمة لحياتهما) . (٣) مقدمة كتاب « رسائل الرافعي »ط١٩٥٠ ص ٣ - ٦ . (٤) منها كتاب «دراسة في ادب الرافعي » د. نعمات احمد فؤاد ١٩٥٣ . (٥) حياة الرافعي للعريان . (٦) كتاب « الذين أحبوا مي » لكامل الشناوي ١٩٧٢ . (٧) « المعارك الادبية » لانور الجندي . (٨) منها كتاب « الرافعي وطه حسين» لمحمد عبد القادر العماوي - ط٢ - ١٩٥٨. (٩) كتاب الديوان جـ٢ ط١ - ١٩٢١ ص ٧٩ - ٨٤ .

قلبه بفتاة ريفية تدعى « عصفورة » اعتاد رؤيتها على جسر « كفر الزيات » خلال اسفاره ، وكان متأثرا بشعر الغزل العربي القديم وبخاصة اصحاب الحب العذري ، فأخذ ينظم غزلياته وغرامياته ، ثم يضمنها دواوينه الباكرة ... والحب لا يموت ، بل يعاود التجسد في صور شتى ، ويظل شاعرنا الحالم يعبر عن مشاعره في كل مكان وزمان في شعر من مقوله او منقوله .. ويروي مؤرخه « العريان » « ... وحين يجلس الرافعي في الشرفة من قهوة « لمنوس » بطنطا ، وتمر به الجميلات في رياضتهن او في حاجتهن ، تسمع ثبتا حافلا باسماء الشعراء ، يبدأ بمهلهل بن ربيعة وينتهي بفلان الذي يؤمل ان يكون امير الشعراء بعد ان يموت كل الشعراء ! ... »

ثم كان غرامه الثاني عام ١٩١٢ حين قام برحلة الى لبنان وسورية وعرج على بلدة آبائه طرابلس ، وهناك عرف اديبة لبنانية اسمها « ماري » ما لبث ان افتتن بها ، واستلهم من هذا الحب الخيالي صفحات كتابه « حديث القمر » وكان القمر هنا كناية عنها ، كما نظم فيها قصيدة ضمها الى كتابه : « رسائل الاحزان « وفيها يقول :

ايام لبنان وكانت ساعة	غفرت ذنوب الدهر في اعوام
غفل الزمان هناك من غفلاته	فقررت للذات من آلامي
ومضيت اصعد ذروة في ذروة	كالنجم مشتملا على غمامي
في كل منزلة وكل ثنية	يضع الهوى قمرا يضيء امامي
وعلوت حتى عن اماني الجيا	ة ـ وغبت حتى غبت في اوهامي

وفي اوائل عام ١٩٢٣ كان حبه الثالث الذي الهمه كتابه « رسائل الاحزان » وغيره من المنثور والمنظوم ،اعني حبه للكاتبة مي زيادة ، رحمها الله ، حبا خياليا من جانب واحد كما سلف ، وكانت مي تعقد في دارها بالقاهرة ندوة « صالونا ادبيا » مساء كل ثلاثاء ، حيث يجتمع عدد من الادباء واهل الراي من العرب ، ومن بعض الادباء الاجانب احيانا . وفي يوم من عام ١٩٢٣ دعي الرافعي الى هذا « الصالون » وما ان وقعت عينه على هذه الاديبة اللامعة حتى فتنه جمالها وذكاؤها ولباقتها ، ولم يكن اديبنا المتفرد وحده بحبها بين المترددين على ندوتها (٦) ، ولكن لم يشأ احدهم او شاء من ترجم لهم ، ان يتخذ من هذا الحب الروحاني العفيف قصة غرامية ، يتبادل فيها الحبيبان الرسائل العاطفية الخيالية ، وفيها ما في امثال تلك القصص من صد وهجر وقطيعة وعذاب !.

. ويقول المرحوم « العريان » « كان الرافعي اول من يغشى مجلسها يوم الثلاثاء ، واخر من ينصرف ، فان منعه شيء من شهود مجلسها في القاهرة كتب اليها من طنطا . كان يحبها حبا عنيفا جارفا لا يقف في سبيله شيء . ولكن حبه ليس من حب الناس ، حب فوق الشهوات وفوق الغايات الدنيا ، لانه ليس له مدى ولا غاية . لقد كان يلتمس مثل هذا الحب من زمان ليجد فيه ينبوع الشعر ، وصفاء الروح .. »

وتابع العريان روايته :

« .. وراح الرافعي يوما الى ميعاده ، وكان في مجلسها شاعر جلست اليه تحدثه ويحدثها . ودخل الرافعي فوقفت له حتى جلس ، ثم عادت الى شاعرها لتتم حديثا بداته . وجلس الرافعي مستريبا ينظر . وابطات الوحدة ، وثقل عليه ان يكون لغيره احوج ما يكون اليها ! ونظر الى نفسه والى صاحبه ، وقالت له نفسه : ما انت هنا وهي لا توليك عنايتها بعض ما تولي الضيف ؟ـ فاحمر وجهه ، وغلى دمه ، ورمى اليها نظرة او نظرتين ، ثم وقف واتخذ طريقه الى الباب . واستمهلته فما تلبث. وكتب اليها كتاب القطيعة ، وعاد اليه البريد تعتذر وتعتب .. في اسطر ثلاثة ـ ولكن الرافعي حين وجد كبرياءه نسي حبه ، وكان هو الفراق الاخير ..! »

ثم يقول « وقد تعذب بسبب هذه الكبرياء . ونال منه ما كان يمكن ان ينال بدلا عنه من حلاوة القرب . واخذ يقبل على يراعه يبثها احزانه ، وينفث اليها بشجونه واوهامه ، في كتابه « رسائل الاحزان » نثرا وشعرا . »

بدأ هذا الكتاب في اوائل ١٩٢٤ وضمنه خمس عشرة رسالة عدا ثلاث مقالات هي : المقدمة والذكرى وخاتمة الكتاب . كما تناثر هناك بعض المقطوعات الشعرية والابيات المنظومة في الحب والفزل مثل :

الحسن الوان يمازج بعضها	بعضا ـ لتصوير الهوى الفتان
وارى الجوى والسحر والايمان قد	مزجت ، فمنها هذه العينان

وتبدأ رسالة منها بهذه الابيات :

كم اسأل الدر عن معناك باسمة	والورد عن لفظة قد اطبقت فاك
لا الدر يدري ولا في الورد لي خبر	ارويه عن شفتيك او ثناياك
يا نجمة انا في افلاكها قمر	من جذبها لي قد اضللت افلاكي
النار بالنار لا تطفا اذا اتصلت	فكيف اصنع من قلبي لينساك

ثم وضع بعد هذا الكتاب مؤلفا يغلب عليه الطابع القصصي سماه : « السحاب الاحمر » وفسر العنوان بقوله « أرايت القلم الذي تراءى لي السحاب الاحمر في نصابه بين عيني والمصباح ؟ ـ ضع النصاب بين عينيك والمصباح وانظر ! الست ترى سحابا يترقرق بالدم كأن قلبا جريحا ينزف ؟ في شعاعة هذا النور تراءت لي هذه الخواطر التي تقرؤها في السحاب الاحمر .. »

واديبنا في هذا الكتاب ـ كما في سابقه ـ ما زال يبكي الحب الضائع ، ويبدأ كتابه بكلمة في تفسير الحب والبغض .. ثم يعود في فصل « القمر الطالع » الى التحدث عن حسناء لبنان التي الهمته كتابه : « حديث القمر » المليء بالخواطر الشعرية المنثورة .. ويفرد فصلا آخر بعنوان : « النجمة الهاوية » للحديث عن طائفة من النساء تعمد السخرية بهن ليغيظ صاحبته الاديبة ! ثم يتناسى هذه وتلك ويكتب بعض الاقاصيص الاجتماعية ومنها « السجين » و « الربيطة » في اسلوب رومانسي بليغ كسائر ما كتب من قصص في بعض مؤلفاته الاخرى ومنها

كتاب « المساكين » و « وحي القلم » ليتها اجتمعت معا في مجموعة قصصية خاصة بها ليدلي فيها كل ناقد قصصي بدلوه ، فالقصة احدى النواحي التي طرقها الرافعي بطريقته الخاصة ، الى جانب ما كتب من شعر ومقالة ونقد ..

ولكن اديبنا - كما سلف القول - شاعر قبل كل شيء والشاعرية تسود اسلوب حياته واسلوب كتاباته ، وان كان يحب ان يلبسها دائما الزي التقليدي المتوارث العتيد ، ولا يعترف بانماط التجديد ولا باصحاب الجديد ... وقد بدأ حياته الادبية بنظم الشعر وينشره قبل ان يبلغ العشرين من عمره ، ثم ظهر الجزء الاول من ديوانه عام ١٩٠٠ مقسما الى ستة ابواب : في التهذيب ، والمديح ، والوصف ، والغزل ، والرثاء ، والمقاطع ، واولى القصائد في مدح الخليفة عمر بن الخطاب ، ثم في مدح الشاعر محمود سامي البارودي ، وفي رثاء عبد الرحمن الكواكبي .. الى اخر المحتويات .. وتلاه الجزء الثاني عام ١٩٠٣ مصدرا بمقدمة عن « سرقة الشعر وتوارد الخواطر » وتقسم ايضا الى ستة ابواب منها باب النسائيات وباب الغزل .. ثم الجزء الثالث عام ١٩٠٥ وبه مقدمة بعنوان : « نوع من نقد الشعر » يعرف فيه الشعر بقوله « الشعر تصوير عالم من المعاني والالفاظ ، فالمجيد من جعله مختصرا من صورة العالم كله . ولا بد من شعاع من الروح ، اذا تجردت له النفس امتزجت لطافتها بلطافته . وربما اخذ المرء بلذة التصور فظنها من مكان نفسه وحسب نفسه في مكانه ! » وتضمن هذا الجزء موضوعا نثريا مسجعا ، فقد كان من رأي الرافعي ان يكتب الشعر منظوما او منثورا لا فرق ويضم الاثنين ديوان واحد ..

ثم نشر ديوانه « النظرات » عام ١٩٠٨ وقدمه بمقالة عن « حقيقة الشعر » وبه قصيدة باسلوب النثر المسجع بعنوان : « الحسن المصنوع » وكف بعده عن اصدار الدواوين الشعرية ، وان كان لم ينقطع عن نظم القصائد والاناشيد احيانا وضمها الى مؤلفاته النثرية ، ويقول عن سبب تحوله الى الكتابة النثرية (في احدى رسائله الى « ابي ريه » عام ١٩٢٨) :

« ومن نكبة الشعر العربي انه لا يتسع لبسط المعاني . فاذا بسطت المعاني وشرحت سقطت مرتبته من الشعر واصبح نظما كنظم المتون في الاكثر . وهذا هو ما صرفني من الاول الى الكتابة ووضع « حديث القمر » و « المساكين » وغيرهما ، فان هذه الكتب هي شعر ، ولكنه في غير الظروف الموزونة » .

وشارك الرافعي في وضع الاناشيد المنظومة لتلحن وتنشد جماعيا وكان قد طبع بعضها في دواوينه الاولى مثل : اناشيد الطلبة ، وبنت النيل ، والملك .. ومنذ قيام الثورة المصرية عام ١٩١٩ وانتشار الاناشيد القومية والاغاني الوطنية بين الشعب ، واقامة المسابقات بين الشعراء ، نظم الرافعي عام ١٩٢٠ نشيدا وطنيا مطلعه : « الى العلا ، الى العلا بني الوطن - الى العلا كل فتاة وفتى » ، كما وضع نشيده : « اسلمي يا مصر » واهداه الى الزعيم سعد زغلول وهو منفي بجبل طارق . ثم تقدم الى مسابقة عام ١٩٣٦ بنشيده « اسلمي يا مصر » مع نشيد اخر دعاه « نشيد الاستقلال » .. وكان له نشيد وضعه عام ١٩٢٧ شعارا لجمعية الشبان المسلمين ... ونوى ان يضيف الى هذه اناشيد اخرى ويجمعها في ديوان يسميه « اغاني الشعب » - ولكن لم يمهله الاجل .. وقد لحنت هذه الاناشيد جميعا وذاع بعضها .

ولقد اشتهر كتاب الرافعي « اعجاز القرآن » ونال اقبالا لدى الهيئات الدينية والرسمية وكذلك كان كتابه « تاريخ آداب العرب » الذي وضعه عام ١٩١١ وانتفع به طلاب التاريخ الادبي ..

اما كتابه « وحي القلم » اضخم مؤلفاته - فتشتمل اجزاؤه الثلاثة على نحو مئة وستين مقالة في الادب والدين والاجتماع ، وفي القصة ، والحديث عن الادباء ودواوين الشعراء .. وعن الزواج وحياة الاسرة ، وقضايا الحب والاخلاق والسياسة ، وعن آرائه في الحياة والناس .. ومن فصول هذا الكتاب قصص منها : قصة زواج ، سمو الحب ، الطائشة ، رؤيا في السماء ، فلسفة المال ... وغيرها ... كما نجد في الجزء الاول قصيدتين من الشعر المنثور استلهمهما من صور الصيف على شاطىء الاسكندرية ، ودافع فيهما عن الفضيلة والاخلاق .. وكان ينشر فصول هذا الكتاب بين عامي ١٩٣٠ - ١٩٣٧ بمجلات الرسالة والهلال والمقتطف ، وفي جريدتي الاهرام والمقطم وغيرهما .

وعرف عن الرافعي منذ فجر شبابه ولعه بالنقد العنيف ، والتطاول على ادباء عصره ، وكان بعضهم يبادله النقد والسخرية مثل العقاد وطه حسين وسلامه موسى ، ولم تزل تلك المعارك القلمية مادة يتناولها النقاد والمسجلون بالتحليل والتعليق (٧) وكان من القراء يومذاك من يخرج بشيء من حصيلة هذه الغربلة ، ومنهم من يأسف على خروج تلك الاقلام المرجوة عن النقد الموضوعي الهادىء ..

بدأ الرافعي حملاته عام ١٩٠٥ حين نشر بمجلة « الثريا » بالقاهرة مقالة ساخرة لم يوقعها باسمه ، نقد فيها بعض شعراء عصره وقسمهم الى ثلاث طبقات وضع نفسه في الطبقة الاولى مع حافظ والبارودي والكاظمي ثم يجيء سائر الشعراء مثل شوقي ومطران وصبري والبقية بعدهم ..

وفي اوائل ١٩٠٩ نشر مقالة في صحيفة « الجريدة » حمل فيها على الجامعة المصرية القديمة عندما اعلنت عن مسابقة في وضع كتاب عن تاريخ الادب العربي . وتبعها بمقالة اخرى ساخرة بالمدة المحددة للمسابقة .

ثم بدات الخصومة بين الرافعي وطه حسين منذ

صنين

انا ابنك يا صنين ، هل انت ذاكر   بسفحك لي عهدا تصرم زاهيا
ويا مرقص الانوار ، هل انت سامع   قصيد فتى هز النجوم الدراريا
ويامجثم السحب الكثيفة في الضحى   تحاكي هموما غلغلت في فؤاديا
ارى فيك هداب الضحى متراقصا   والمح في عينيك سر الليالي
ونبعك في السفح الموشح بالسنا   تحدر دمعا من مآقيك صافيا
وجيش ضباب راح يكتسح الربى   فقشعته ، وارتحت للافق ساهيا
وجسم فيك الله كل جماله   واعطاك مفتاح الليالي الفواشيا
وما كنت الا صورة الخلد في الورى   تراءى بها الالوان زهرا ضواحيا
فمن ابيض في احمر اثر اخضر   ومن حلل الاشعاع اصبحت كاسيا
اتيتك من اقصى الديار وبي ضنى   فهل كنت يا مبزغ النور شافيا
لابقى اغنيك القوافي شردا   شوائع بلقا تستذل الدواهيا
وامرح في جنات خلدك حالما   اغازل في الافق القصي الغواديا
موشحة من كل ثوب مزركش   على حسنه تنشى الطيور شواديا
فتملأ ارجاء الفضاء لحونها   سماوية الانغام تنفي المآسيا

ويا مسقط الرأس الذي عن رعونه   الملم انوار النجوم قوافيا
فانظم شعرا لم يمر بخاطر   واسحب من فوق الثريا ردائيا
اغني به في كل درب مرنما ،   وافجره لحنا يهز اللياليا
وما الشعر الا نفحة سرمدية   نرود بها ، عبر الفضاء ، المراقيا
فنبصر ما لا تبصر العين مثله   ويجلو لنا الايحاء ما كان خافيا
انا انت يا صنين ، يا موطن السنا   كلانا حكيم يستهين العواديا
غريبان في الدنيا يوحد بيننا   طموح فلا نرضى الامور كما هيا
نريد سلاما يغمر الارز كله   فلا صخب فيه ولا فيه عاديا
فقد عكروا فيه السلام جهالة   وقد ركبوا فيه هواهم تعاديا
وما الارز الا جنة الله في الملا   ورضوانها صنين يحرس هاديا

جورج الكعدي

ان اصدر الرافعي كتابه « تاريخ آداب العرب » ١٩١١ ونقده دكتور طه ، الطالب يومئذ بالجامعة المصرية .. وبعد سنوات عاد طه حسين فنقد كتابيه « حديث القمر » و « رسائل الاحزان » بجريدة « السياسة الاسبوعية » فرد عليه الرافعي ، ولما ظهر كتاب « الشعر الجاهلي » للدكتور طه ، تناوله الرافعي بالنقد العنيف في جريدة « كوكب الشرق » مما اجتمع في كتابه «تحت راية القرآن » وزادت الخصومات السياسية الحزبية في اضرام نار المعركة ، وشاركت فيها اقلام اخرى كثيرة (٨) .

وبدات الخصومة بين العقاد والرافعي منذ عهد بعيد ، وكان كل منهما قد انتقد النشيد القومي للشاعر احمد شوقي ، فاتهم العقاد الرافعي بسرقة نقداته ونشر عن ذلك مقالة في كتابه « الديوان في النقد » (للعقاد والمازني) ١٩٢١ ثم ابدى العقاد رايه في كتاب « اعجاز القرآن » فهب الرافعي وكتب مقالات لاذعة في نقد العقاد نشرها عام ١٩٢٩ بمجلة « العصور » ثم جمعها في كتاب بعنوان « على السفود » ظهر عام ١٩٣٠ بقلم « امام من أئمة الادب العربي » ..

الاسكندرية   **نقولا يوسف**

لم يكن يدري ، وهو يغادر قريته الى العاصمة ليدرس الطب في جامعتها، ان الامور قد لا تسير وفق هــواه ، وان رغباته الظاهر منها والخفي ، قد لا تتحقق الا بعد معاناة تزيد علــى ما قدر لها من جهد وزمن .

كان عمره حينذاك دون العشرين، انهى دراسته الثانوية بتفوق فــي الصيف الماضي ، وامله ــ وما احلى الامال ــ ان يتخرج طبيبــا ممتازا ويأتي مشرفا على المستشفى المركزي الذي يجري بناؤه حاليا في قــريته لخدمة القاطنين فيها وفي القــرى المديدة المجاورة لها .

وبينما كانت السيارة تنهب الارض بين الكروم ، التفت الــى جانــب الطريق ، اذ تمهلت السيارة قــرب عين ماء ، فراى جارهم العمدة يحمل بندقية الصيد في يد ، وجرابا فــي اليد الاخرى ، ويتجه نحــو حماره الاشهب .

« ترى ماذا يحمل في الجراب ؟ لا بد ان تكون ارنبة برية او حمامــة او عــددا من الفري او السمان! وسيعود بعد قليل الى منزله فينادي ابناءه ويناول كلا منهم حصة مــن الصيد ! سأشتري بندقية صيــد اتوماتيكية تستوعــب خمســ « خرطوشات »، وسأتدرب عــلى استعمالها بحيث لا تفلت مني طريدة ! سأشتري سيارة بدلا من الحمار .. فلا تصلح الدواب ركوبة لطبيب ! »

ووصل العاصمة ، ودخل الجامعة واتم السنة الاولى بتفوق ثم التــي تلتها وما بعدها ، واخيرا حصل على بكالوريوس في الطب .

وعاد الى قريته ليجد والديه ،على ضعف حالتهما المادية ، يعدان العدة لتزويجه من ابنة عمه التي انهــت دراستها الثانوية : « واللي عيونهــا ــ اسم الله ــ مثل اللوز ، واسنانها ــ يخزي العين ــ مثل اللولو . »

لم يعارض في الامر ، ولــم يفعل وهو يحب ابنة عمه واصبح عمــره فوق الخامسة والعشرين ويستطيع العيش في دعة . نعم.. كان يأمــل ان يكون هو رئيس المستشفى المركزي ويكمل فرحته بالزواج ، ولكــن لا بأس ان يتزوج اولا ، وليكمل فرحته فيما بعد ، عندما يصبح رئيســا للمستشفى .

وعمل طبيبا مع وزارة الصحــة مركونا في احد المستشفيات النائية. وبعد مشقة وعناء استطاع ان ينتقل الى مدينة قريبة من قريته فعمــل في مستشفاها مدة تربو على السنتين كان خلالهما لا يكل عن محاولة الانتقال الى المستشفى المركزي دونما فائدة .

واخيرا سنحت له الفرصة فــي سلسلة من التنقلات التي اجــرتها الوزارة فنقل الى المستشفى المركزي في منصب طبيب اول ، وكان قــد



بقلم ابراهيم احمد الشنطي

مضى على تخرجه اثنا عشر عاما ، ولديه ولدان ، احدهما في العــاشرة والاخر في الثامنة ، وابنة لم تكمــل شهرها الرابع بعد .

« واخيرا نلت بعض ما تبغي يــا ابا جلال » قال ذلك هامسا وهــو يضع بعض المذكرات والادوات علــى طاولته في المستشفى المركزي فــي صباح اليوم الاول الذي تسلم فيــه عمله . « لقد آن لك ان تستمتــع بالحياة .. ان تشتري سيــارة محترمة .. ان تقتني بندقية صيد ،



ان تمارس بعض الهوايات المحببة .. هل تذكر جاركم العمدة ، عليه رحمة الله ، الذي كان يدور في البيــارات والحقول والكروم يصطاد ما يبتغــي من الطيور والحيوانات البرية . ! كنت ايامها تصطاد « بالنبلة »وهيهات ان تصيب الهدف .. اللهــم الا اذا كان زجاج احد شبابيك المدرسة . »

وابتسم لهذا الخاطر وتذكــــر « العلقة » التي نالها من عصا مدير المدرسة في تلك الايام الخوالي علــى فعلته . « ترى اين هو المدير اليوم ؟! الا يزال على قيد الحياة ؟! لا بد من زيارته او دعوته لزيارتي .. لا بــد ان يزورني اذا كان على قيد الحياة.. مصير العجائز المرض ، وطــريــق المرضى الى المستشفى ! »

عجيب كيف برزت فكرة شــراء بندقية الصيد .. ترى هل كــانت تعجبه هيئة جارهم العمدة ..عندما كان ينزل عن حماره ذي الخــرج الوشى وينادي ابناءه ليأخذوا مــا اصطاده لهم ، بينما هو يقف علــى مقربة منهم ومن والدهم وليس لديه سوى «نبلة» ذات شريط قديم مــن المطــاط .

لم يسبق له ان تحدث بشيء عن هذا .. كان يكتمه في اعماقه .. لم يبرز الى حيز الوجود الا اليوم .. ترى هل كان يحتاج الى كل هــذا الوقت والى هذا المنصب بالــذات ليحقق ما كان يتوق اليه في صغره ! ولماذا ظل يخفيه طوال هذه المدة حتى عن اهله ، وكأنه يخشى ان يعــاب عليه اذا لم يتحقق ؟! هل كــانــت دراسة الطب وسيلة لاقتناء بندقية صيــد ؟! هل استهواه منظر العمدة ببندقيته فاختزنه صورة فــي ثنايا ذاكرته نحو عشرين عاما ، حتى اذا ما عاد الى مكان تلك الذكريات برزت تلك الخبايا لتتجسد ، مهملة فارق الزمن والمنصب وسبل الحياة ؟!

واشتــــرى بندقيــة صيــد « اوتوماتيكية » وخمسين خرطوشة (طلقة) ، واخذ يركب سيارته كــل

يوم جمعة ويذهب الى الكروم والبيارات ليتدرب على الصيد . كان يذهب لوحده .. لا يريد ان يراه احد الا صيادا ماهرا . يريد ان ينزل من السيارة فينادي ولديه وهو خارج المنزل ليحملا حصيلة صيده .

وجاءت عطلة اسبوعية فالح عليه ولداه وزوجته بان يأخذهما في نزهة فيصطاد لهم كما وعدهم في الاسبوع الماضي والذي قبله . ووافق اخيرا وخاصة عندما وجد ان لديه خمس « خرطوشات » فقط ، اذ انه بدد الباقي في التدرب على استعمال البندقية .

حمل اهله في السيارة الصغيرة ومعهم ما يحتاجون من طعام لنزهتهم القصيرة تلك . وساروا بين الكروم واوغلوا فيها ، ومع ان الطريق كان ترابيا الا انه كان صلبا تحت عجلات السيارة .. كما كان الطقس دافئا جميلا وقد لاحت عليه بشائر الصيف .

واخيرا وصلوا الى المكان الذي يبغي ، فترجل من السيارة وانزل اهله ، ففرشوا لهم بساطا في ظل زيتونة وارفة قرب خط من نبات الصبار (التين شوكي) .

وبالكاد جلست زوجته على البساط وهي تحمل رضيعتها بين يديها حتى قفزت من بين نبات الصبار ارنبة برية تكاد تكون بحجم الحمل الصغير .. هكذا خيل اليه. فاسرع الى بندقيته يلتقطها من فوق البساط ويصوبها باتجاه الارنبة ويطلق الخرطوشة الاولى قبل ان تستوي البندقية في الوضع الصحيح ، فاصابت الخرطوشة غصن زيتونة منخفض فتساقطت اوراقه تذكره بشظايا زجاج شبابيك المدرسة عندما كان يصيب احدها بحجر من « النبلة » .

« لكن الارنبة تعثرت ، انها تنقلب على نفسها وتقفز يمينا فشمالا ، فيمينا فشمالا .. لربما اصابتها احدى ذرات الخرطوشة فهي من النوع الذي ينتشر كالمظلة » .

ونظر امامه اذ ارخى قبضته على البندقية فشاهد الارنبة لا تزال على مرأى منه فاسرع يطلق الخرطوشة الثانية وهو يجري خلفها ، فقفزت الارنبة قفزة قوية لتتخطى كومة من الحجارة اعترضت طريقها ، ومع القفزة اطلق الخرطوشة الثالثة ... وظن انه اصابها فاخذ يبحث عنها بين الشجيرات والاعشاب وحول كومة الحجارة ولكنه لم يجد اثرا لها . ثم اخذ يوسع دائرة بحثه شيئا فشيئا غير منتبه للوقت وغير شاعر بالتعب الى ان علق بشريط ملقى باهمال بين الاعشاب فشق سرواله فانتبه لنفسه



ابراهيم احمد الشنطي

●

... « عجيب كسل اصحاب هذه الارض .. اهكذا يتركونها بورا لا يفلحونها ولا يحرثونها !؟ » قال هذا في نفسه اذ اجهده البحث وهو ينخفض ويرتفع في احواض الاشجار وبين الاعشاب البرية التي تصل الى ركبته فتعيقه عن سيره ورؤيته طريدته .

وتابع سيره وبحثه يحدوه الامل ، حتى تعبت قدماه من السير .وشاهد صخرة كبيرة غطت بعضها فروع العنب الخضراء ، فجلس عليها ونظر الى الناحية التي اتى منها فوجد انه قطع مسافة طويلة بعيدا عن المكان الذي يجلس فيه اهله ، وفتح بندقيته ليتفقد الخرطوشات فلم يجد غير اثنتين .. فاخذ يتذكر متى واين اطلق الثلاث الاخريات .. وجعل ينظر الى الخرطوشتين الباقيتين ممه وهو يمسكهما بيده بينما البندقية قابعة بالقرب منه على الصخرة الملساء .

واعاد الخرطوشتين الى البندقية ومد يده الى حذائه يخلعه ويفرغ منه التراب الذي دخله بينما كان يحث الخطى وراء الطريدة ، واراد ان ينزع عنه الطين الرطب الذي التصق بكعبيه فاصبح وكأنه حذاء سيدة رشيقة .. فضرب كعب احدى الفردتين بالصخرة ، فسمع اثرها صوت حركة امامه فنظر واذا بالارنبة تقفز امامه من تحت شجيرة صغيرة. وبدون ان يعدل من جلسته امسك البندقية واطلق الخرطوشة الرابعة، فكانت افشل الطلقات جميعها .. لكنه مع ذلك لاحظ ان قفزتها ضعيفة بالنسبة لقفزاتها السابقة ..

« ترى هل تعبت ام اصابتها احدى الخرطوشات !؟ ان قفزتها بطيئة ولا اظنها ستبتعد اذا كانت مصابة ! »

ولبس حذاءه وحمل البندقية ، التي لم يبق فيها سوى خرطوشة واحدة ، وذهب الى الشجيرة التي قفزت الارنبة من تحتها ينظر ويستنتج فشاهد قطرة من الدم علقت بوريقات العشب .. لقد اصابتها احدى الخرطوشات اصابة غير قاتلة ! لن تفلت مني .. معي خرطوشة واحدة ولا بد ان اصطادها بها .. والا كسرت البندقية والسلام .

ونظر الى بندقية الصيد في يده ودارت الفكرة في خاطره .. لا .. سأبيعها واتخلص من هذا التعب .. لا داعي لان اكسرها .. انها هواية متعبة .. لقد انخلع كعب الحذاء وانشق السروال و .. و ..

وسار في الجهة التي قفزت الارنبة

شاعر

قالوا : فـلان شاعر ، فأجبتهم : ... كم رحت انعي شعـره وشعوره
سرق القوافـي والبحور جميعها، ... مسـخ القصيـد طويله وقصيره
ان رحت تنقـده كنقدة طـائر ... اغضى ، وابـدى كبره وغروره
الشعر ميـدان السباق ، فشاعر ... كالسبع تسمـع في الهجوم زئيره
ومنافس طلـب السبـاق مقدمـا ... للسبق في ساح المعـارك عيـره

بوانس ايرس ـ الارجنتين

عبد اللطيف الخشن

نحوها متتبعا آثارها فيارض مزروعة بالفول ، وضاع الاثر بين الاعشاب «الا ما اكسل اصحاب هذه الارض!»

ولاح له على مسافة امتار ما يشبـه اذني ارنبة برية .. لقد اصبح يتخيل الارنبة في كل شيء يراه .. « لكـن الشيء قريب الشبه !؟ »

وتقدم قليلا ثم ابتسم اذ تذكر انه في ارض مزروعة بالفول وفـي ارض الفول ينبت « الهالوك » ، وازهاره قريبة اللون من الارنبة البرية . «هذا ما تتخيله يا ابا جلال .. لقد ملكت الارنبة تفكيرك .»

وفرك عينيه وتقدم خطوتين ومد عنقه ليرى بوضوح .. « لا .. انها هي .. لا مجال الان للشك .. ليست ازهار هالوك ، لن اخطىء هذه المرة ! .. وان اخطات .. سأكسرها ... سأبيعها سا .. سا . »

وسدد البندقية بهدوء .. وركز نظره .. واطلق .. فاصاب .

واسرع نحو الارنبة ليمسك بهـا ان حاولت الهروب وليذبحها ،ولكنها لم تحاول ولم تستطع وبالكادتحركت اذاناها نزفت الكثير من دمها عندمـا اصابها رشاش احدى الخرطوشات السابقة .. كانت لا محالة ميتة حتى بدون الخرطوشة الاخيرة .

عاد الى اهله يحمل صيده ... كانت المسافة بعيدة .. قطعها كلهـا او معظمها ركضا وراء هذه الارنبـة الصغيرة .. « انها خفيفة وضعيفة ، كأنها لا تأكل والاعشاب تملأ المكان .. كنت اظنها اكبر واثقل .. »

ونظر الى الارنبة وهو يمسكهـا بيده اليسرى فهاله ان شاهد بعض قطرات الدم على سرواله الذي سبق ان انشق في لحظات .. « انهـا لا تساوي التعب والمشقة .. لا تساوي السروال ولا الحذاء .. انها خفيفة لا تساوي حتى ثمن الخرطوشات التي اضعتها عليها .. المثل هذا كان يركض العمدة ؟ يا له من احمق !! »

اقترب من مكان زوجته واطفاله، فاسرع طفلاه الكبيران اليه فرحين واخذا يتلمسان الارنبة وهو ينهرهما بلطف كيلا تتسخ ملابسهما .

وضع الارنبة على مقربة من زوجته التي كانت ترضع طفلتها ، وجلس بجانبها وهو يشير الى سرواله ، فنظرت اليه وقالت تسبقه في الكلام وقد انتقل بصرها الى الارنبة :

ـ انظر .. ان اثداءها حمـراء متدلية ، يظهر ان لديها صغـارا ترضعها ، احمرار الحلمات دليـل الرضاعة !

« صحيح .. كيف خفي علي وانا الطبيب !؟ الرضاعة ايضا قد تضعف الجسد .. لهذا السبب هي ضعيفة وخفيفة .. لا يشبع طير وفي عشه فراخ ... صدق المثل » .

وضعت زوجته صغيرتهـا اذ اغفت ، ووضعتها بجـانبها علـى البساط . وعندما انحنت فـوقهـا لتصلح وضعها سقطت دمعة مـن احدى عينيها ، فاسرعت تمسـح دمعة اخرى من عينها الثانية .

شاهد ذلك المنظر وهو صامت وباسرع من لمح البصر احس بمـا يجيش في صدرها من احاسيس «انها ام .. وهذه الارنبة ام ايضا .. حنان الامومة هو هو في الانسان والحيوان .. انه هبة يمنحها الله لمخلوقاته .. »

ـ بابا .. بابا .. اسرع .. هذا ارنب صغير في الصبار !

صاح احـد الطفلين فـاعاده الى واقعه واسرع نحوهما .

كان هناك فعلا ارنبان صغيـران لم تنشق عيونهما بعد ، كان يرقدان في تجويف بين فروع الصبار القديمة وقد مهدت لهما امهما مكانا لينا من الحشائش الحافة وبعض الخـرق البالية ... « لهذا السبب تظاهرت الارنبة الام انها اصيبت عندمـا اطلقت الخرطوشة الاولى عليها .. كانت تريد ان تضللني فابتعـد عـن صغيريها .. يا لحنان الإمهات ! »

اقترب منهما بخفة بعد ان افسح لقدميه بين الشوك ، ومد يـده فامسك احدهما وناوله لاحد ابنائه ، ثم امسك بالاخر واعطاه للابن الاخر ونهض ..

ـ بابا .. خلينا ناخذها نربيهـا عندنا في البيت ! (قال الاكبر)

ـ صحيح بابا .. خلينا نربيها في البيت كما يقول جلال !

ـ نعم سنفعل ، سنربيهما ... وسنعتني بهما حتى يكبران ثـم نطلقهما في الحقول !

وانزلقت يده الى جيبه فتنـاول قطعة نقد معدنية وضعها في موضع الخرطوشة داخل انبوب البندقيـة ثم ضغط على الزناد فاصطدمت الابرة بقطعة النقد وانثلم رأسها .

الظهران ابراهيم احمد الشنطي

النبع الجاف

جـــادت يمينـك بالكثيـــر   والنـــاس تبخـل باليسيــر
انفقـــت انفـــاق امـــرىء   أمـن العـواقب مـن غـرور
وبـذلـت حتـى لـم تـدع   نـذرا ولـو شـروى نقيـــر
والـدهر ذو غـير فكيــف   أمنـــت عـاقبــة الامـــور
لهفــي عليـك ولـن يـــرد   عليـــك لهفـــي من مصير
ان الفنــــــاء محتـــم   والمـوت خـاتمـة المسيـــر
وارى الحيـــــاة روايــــة   بالدمـع تعصـــف والزفيـر
شحنــــت بالـــوان العـذاب   وكـــل شـــر مستطيـــر

نضبت ميـاهـك وانطـــوت   كالســر فـــي غـور الضمير
لـم يبـق فيــك لظـامىء   مـا كـان ينقـع من سعيـــر
بالامـــس كنـــت العقـــد   فـي جيد الخميلـة والصدور
حليتهــا ونفثـــت فيهـــا   الـــروح تهـــزج مـن حبور
فتراقصت للـــروض افنـــان   تضمـــــخ بالعبيـــــر
والطيـــر بـــين مصفــق   ومغــــرد حـــين البكـــور
والريـــح تسجـع مـن جوى   دون الخميلـــة كالطيـــور
للـــريـح وشوشـة المحـب   ونـــامـة الاســـد الهصـور

مـا كـان اوجـع مـا منيـت   بـــه من الخطــب الكبيــر
ان الزمـــان ولـــم يـــزل   يرمـــي بقاصمـة الظهـور
دك المعـاقـل مـن قواعـدها   ودار علـــــى المغيـــــر
غـــال الكبيـــر بريبـــه   ولكـــم اناخ على الصغير
غـارت ميـاهـك كالشعــاع   بغمـــرة الليـــل الضريـــر
فكـان حـوضـك مقلــــة   الـزمن السحيق على العصور
مـا ثـم فـــي اشفـارهـــا   مـن رحمـة او مـن شعـور
عميـاء اظلـم في محاجرهـــا   واشكـــل كـــل نـــور

وكأنمـــا ضفتـــاك جـــرح   خط فـــي جنـــب كسيــر
وامتـد مـا دون الربـــى   غـرب لجرحـك كالسطـور
ويطـول متسعـا كشهقـــة   ثـاكـل فـــوق القبـــور
... وسكت عـن لحـن شجي   وانقطعـــت عـن الخريـر
قيثـــارة بيديـــك تعـزف   في العشـي وفـي البكـور
رقصت لهـا بالامس افنـان   وفـــاحـــت بالعبـــر
واليـــوم لا ري لـديـــك   وليـــس مـن لحـن مثيـر
مـا كـان اوجـع مـا منيـت   بـه مـن الخطـب الكبيـر

دمشق   عدنان مردم بـك



وحيد الدين بهاء الدين

سيف الدين الخطيب كما عرفته...

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

في بداية صيف عام ١٩٤٩ ، بينما انا مكدود الفكر والتفكير ، لخوض الامتحان العام للدراسة الاعدادية ، جاءني زميل لي ، وهو فتحي معصوم ، ليقول : ان هناك شاعرا من ابناء (هيت) المعروفين يود ان يتعرف اليك ويتحدث معك في بعض شؤون الثقافة والادب . ارجو ان تحدد له ـ ان لم يكن لديك مانع ـ موعدا لاصطحبه معي في زيارة لك .

وفي عصر الخامس من حزيران كنت استقبل وزميلي الاخر : مدحت عبد الواحد ، بدارتي بقلعة كركوك ، الصديق الجديد الشاعر سيف الدين الخطيب الملقب بابي عفاف (١) ، وكان مغمورا من الراس الى القدم في قطعة من بياض ..

حقا كانت جلسة ممتعة ..

جلنا بها جولات واختصرنا مسافات ، ونحن نتطارح ضروب الفكر والشعر ، ونتجاذب حبال السجال والجدال ونجوس افاق الماضي والحاضر ، ونعرج على ذخائر التالد والطارف ، يتخلل هذا كله طرائف مستملحة ودعابات بريئة ، ترطب مناخنا العقلي والشعوري ، وتزيدنا هياما بالفن والادب ، واقبالا الى الحياة والجمال ..

لفت نظر ابي عفاف الى جانبي كتاب « الرصافي : الجزء الاول » لمصطفى علي ، وكان ادركني قبل ايام قلائل هدية من مؤلفه ، فعلم انني من المعجبين بالرصافي والراغبين في دراسته مستقبلا ، ثم رجاني ان يستعير الكتاب ليوم ، عساه ان يسعد بمطالعته .

ولما كان من الغد ، اعاد ابو عفاف الكتاب الي ، وقد قراه في رحلة الليل الهادئة ، ومعه رسالة مفصلة ، يقول بها : « .. وبعد فسقيا للظروف التي اتاحت لي شرف التعرف بك وبالاخ الاستاذ مدحت . ومرحى للاخ فتحي لانه كان همزة الوصل في التعارف ولولاه لما عثرت على تينك الجوهرتين اللامعتين في صدر الادب والكوكبين المتالقين في سماء المعرفة التي لا غنى شمسها بكسوف على كر الدهور ان شاء الله . واذا كانت الصداقة تاجا يحلي به المرء هامة راسه فانتما والاخ فتحي المع درر ترصع ذلك التاج . فانا اعتز بكم جميعا وبكم ارفع رأسي عاليا على البعد والقرب وسأظل احتفظ باجمل الاعجاب وبانبل ايات التقدير .. »

قضى ابو عفاف معظم حياته في غير بلده (هيت) غريبا يبحث عن اسباب الرزق ويتنقل في الوقت عينه في عديد من الوظائف التي لم يكن يستقر بها قطعا لعلة ما فتئت اجهلها . من هنا كنت تراه بكركوك فترة طويلة او قصيرة ، ثم لا تلبث في يوم من الايام ان تحسس غيبته غير المنتظرة ، التي تستغرق عاما او عامين ثم يعود الى كركوك بكل عقله وقلبه ، كأن بها ضالته المنشودة .

كان ابو عفاف ضائعا تنهشه غربة الدار والنفس ، وتمزقه محنة الحياة والعيش ..

حيث كتب الي ذات مرة قائلا : « انني كغريب قد اثقلتني الهموم وانقضت ظهري الالام وصيرتني شارد الفكر .. مجروح الخاطر .. » .

كذلك قال في قصيدة له :

الغربة النكراء تلهب خاطري ... فالام ابقى هكذا اتعذب؟

من هذا المنطلق كان ابو عفاف يزور اصدقاءه في دورهم ومقر اعمالهم ، اذ يفاجئهم بوجوده ، وينعش خواطرهم باشعاره ويعطر اجواءهم بنكاته . انما كانت النكتة اللطيفة التي لا تؤذي في الاعم الاغلب شعاره الذي ما تخلى عنه الى اخر لحظة من لحظات عمره ، لانها كانت طغراء حياته الصعبة ، والمتنفس الوحيد لهمومه وخوالجه والطريق الى قلوب الاخرين .. من خلال النكتة كان ابو عفاف يصنف وينتقد تارة ، يعقب ويعقب تارة اخرى .. يعلو ويسفل تارة ثالثة .. بمعنى ان النكتة كانت عنده ذات دلالة وهدف مباشر . حتى ان بعض اشعاره التي عبر بها عن معاناته وخبراته ، اتسمت بطابع النكتة والفكاهة ... الطرافة والظرافة ... اذكر منها على سبيل الذكر قصيدته التي كثيرا ما كان يرددها امام صحابه والتي يفتتحها :

كنت امشي برقة واتئاد ... ليلة الاربعاء قرب النادي

ومقطوعته التي قالها بعد ان دهمته دراجة في شارع مكتظ بكركوك وهو عائد من عمله اليومي المرهق :

كنت امشي بشارع الاوقاف ... قرب دكان انور الاسكافي

ثم قصيدته التي نظمها حين دخوله لاحد النوادي الليلية بكركوك وحين تجاهله مدير ذلك النادي وكان اصلع

بالرغم من الصلات التي بينهما :

اني بناديكم (المطرگع) اقبــع ومعي نجــوم في الحديقة تلمــع
. . . . (يا اكرع)

لقد كنت اذهب الى ابي عفاف كلما تحينت الفرص. اذ اجده ملازما القرطاس والقلم او مصاحبا ما اعتاد ان يصاحبه في رحلات الانس . وفي اوقات كنا نخرج الـى المنتزهات والحقول ، وكنا جماعة من الشبان ممن تمازجت مشاربهم ومشاعرهم وتدانت ميولهم وامزجتهم ..

وفي كل رفقة ، كان ابو عفاف سيد الموقف ، يسيطر بها على الحضور ، لشجاعته الادبية وبلاغته وتهويلاتـــه الطريفة التي ما بلغ احد منا مبلغها . حتى ان بعضا مـن الزملاء ، كان يدبر له بين حين وحين مقلبا او مقالب ، ايغالا في التسلية او ترويحا للنفس وتجديدا لمضمون النكتة ولا اخفي انه بما عرف عنه من بساطة وطيبة ، كان سريع الانقياد والانخداع . « وخلقناكم اطوارا . »

جاءني ابو عفاف في يوم ٢٨ – ١١ – ١٩٤٩ ، وقـد توطدت آصرتنا ، وعليه ملامح الرضا :

قلت – خيرا .. ابا عفاف ؟

قال – يسعدني ان اقول فيك بعض الشعر ..

قلت – في انا – ومن انا ؟

قال – هذا اللواء بذكر فضلك يلهج والكل يحـــفظ ما تخـــط وتنتج

قلت – لئن شكرتك ، فلان هذا هو شعورك ، غير انني ما برحت طفلا احبو ..ولا شأن لي بهذا الذي ذكرت.

قال – انه جدير بك .. وانت جدير به ..

واتفق في اليوم التالي ان اطلع الصديق الشاعر عبد السلام حلمي صاحب كتاب « ساعات وايام » على هـــذا البيت الشعري ، مكتوبا في دفتر صفير عندي ، فما كان منه الا ان يمسك بالقلم ، ويقول معارضا على نفس الروي والقافية :

ادب يضـوع كانه زهر الربـــى وشمـــائل في ظرفهـــا تتوهـــج
فارق المعـالي يا وحيد بعزمـــة مضـــاء فيهـــا للكفاح تـاجـج

ثم ذات امسية من امسيات شتاء عام ١٩٥٠ ، زرت ابا عفاف في فندق الرافدين ، فاذا هناك شلة من الاصدقاء تتصل بينهم اسباب هزج ومرج :

– ماذا وراءك .. ؟

فالوعـــي بغي والتحـــرر سبـــة والهمـــس جـرم والكـــلام حرام
ومـــدافع عمـــا يدينـــن مخـرب ومطـــالب بحقـوقــه هـــدام

وبحماسة ظاهرة ضربت بقبضة يدي وانا اتلو هذين البيتين للجواهري ، على الطاولة التي امامنا ، تعلوهـــا صينية ازدانت باقداح الشاي والقوري.. فاذا بها تتساقط الى الارض متكسرة ..

– بسلامتك .. !

ويدخل علينا زميل اخر ، هو حمدي عثمان ، ليقول:

– ما عندكم .. والاصوات تترامى .. ؟

– قراءات شعرية ...

– ثم ماذا .. ؟

ورد ابو عفاف بلهجة حاسمة :

– الجمعة القابلة عندي هنا سوق (للادب) ..

واندفع الزميل القادم بخفة روحه :

– وما رأيكم في سوق لـ (الباجة) عندي ، في الجمعة التي بعدها ؟؟ (٢)

وتصاعدت الصيحات جذلة : – وهو كذلك ...

وابو عفاف كشاعر حساس ، يعشق الحسن والفتنة ويطلب اللذة والمتعة ، ولو كانتابربتين . فكان يحب العذارى المائسات ، ويحن الى ملاقاتهن ، ويغازلهن على البعد والقرب وقد لا يكون لذلك كله رد فعلي ايجابي..

اعرف انه اعجب بانسة تدعى (سلوى) ، وشغف بها حبا وولها . ثم صاغ اعجابه ذاك وحبه هذا في قصيدة وجدانية نشرت في صحيفة « الافاق » الكركوكية :

هـــلا حللت من الجفـاء وثـاقي سلـــوى ستحرق خافقي اشواقي
فلئـــن تناسيـت العهود فانني وكمـــا عهدت على المحبة بـاق

سرعان ما ردت عليه اديبة القلعة يومذاك الانسة : مديحة .. في الصحيفة ذاتها ولكن باسم مستعار ، ثـــم تساءلت هنا وهناك : من تكون سلوى ؟ وتروح تضحـك بسخرية لاذعة ، قائلة : يا له من عجوز متصابي ! يناجي سلواه ويتغزل بها .. ومن ثم يبكي !

لكن ابا عفاف استغل هذه البادرة الادبية .. فاجاب صاحبة الرد بمقطوعة شعرية ، وقد قدمها : قالت احداهن الصديق : هل ان حب ابي عفاف لسلوى حبر على ورق؟؟؟

قالت ابنظم في سلـــوى بلا ملق ام ان ما قـــاله حبـــر على ورق
فلست ادري متى كان اللهو هذرا لذي الشاعر لا للجـاهل الخرق

ولم يكتف ابو عفاف بهذا كله . بل ان احساسه بان ذلك الرد لم تكتبه الا اديبة القلعة ، كان حريا بان يجعله يمهد الطريق اليها بمقطوعة عنوانها « نفثات جريحة » ، لعلها ان تصبح برزخا بينهما ، ولكن شيئا من هذا كله لم يتحقق .

مديحة الحســن يا غـفـــاة ... ومبعــث النور في اشراقة القمـــر

والمعتقد ان امر ابي عفاف قد افتضح .. في المجالس الادبية والاجتماعية .. قيل : قد يكون وراء ذلك حب ولو من طرف واحد .. على اية حال فان ابا عفاف نشر قصيدته تلك في ما بعد في صحيفة «البشير» الكركوكية (٣) ثم في ديوانه « موكب العواطف » (٤) بعد استبدال كلمــــة (المنادى) بكلمة (ترتيلة) توقيا للظنون ودرا لبعض النتائج ..

ابو عفاف في شعره يشتط ويسرف ....

فالاغـراق في الفن اذا كان ضروريا ومستحبا بعض

---

(١) انظر عنه بحثنا (شاعرية ابي عفاف) مجلة الكتاب. نيسان ١٩٧٥.

(٢) اكلة شعبية شائعة بالقطر العراقي ولا سيما مدينة كركوك .

(٣) انظر العدد ٤ في ١٤–١–١٩٥٨

(٤) مطبعة كركوك ١٩٥٨

الشي ء، بغية تجسيد الصورة وتحريكها واكسابها القدرة على التأثير والايحاء لدى الاخرين ، فانه غير مقبـول اذا تخطى حده ، واشغل حجما اكبر من ما يستحق ، كما كان يفعل الحاهليون وغيرهم في انتاجهم الشعري والنثريعموما

دعاني الى هذا وذكرني به ، ما نشره ابو عفاف فـي صحيفة « الافاق »التي يحررها (٥) من قصيدة عنوانهـا « جمعية الهلال الاحمر في كركوك » . حيث سرد بها مـا لهذه الجمعية من اثر في حياة الفقراء وما تسديه من خدمات مبالغا في رؤيته الواقعية لها ، وفي مديحه لاعضائها ، الـى اقصى اماد المبالغة .

حتى اذا قرات القصيدة هذه ، وهالتني تهويلاتابي عفاف التي لا يمكن ان يتقبلها الذوق الادبي ناهيك بالواقع المادي كتبت عنها كلمة نقدية قاسية في مجلة « قرندل » البغدادية (٦) . هذا شيء منها :

نذروا النفوس لاشرف غـايـة   ركعت بـاجلال لهـا الايـام

اية ايام هذه ؟ ! قفيدرة الناظم ان يحددها لنا ؟ ومتى ركعت الايام ولمن ؟ كيف سوغ الناظم هذا القول ومن يقره على قوله هذا الذي لا ينطبق حتى مع الواقع فضلا عـن مغايرته لرسالة الادب الجديد ؟ ! ثم يقول ما هو مجلب للضحك ومدعاة للسخرية :

وتحدث التـاريخ عن اهدافهـا   وتكلمت بجلالهـا الاقلام

يا الهي ماذا اقرا ؟ انكسة انتابت الشعر ؟ ادولته دالت لان هذا البيت يمثل قمة التهويل الذي يدك التاريخ (البريء) دكا ولا ذنب له . وكيف لا يمثل (القمة) ما دام الكلام يلقى على عواهنه دون رقيب من فكر او حسيب من وجدان . فالتاريخ لا ينطق الا حين يكون للنطق بواعث ولا يطل على البشرية ناطقا الا اذا هزته الاحداث واجبرته على ذلك. وشأن الاقلام في مهمتها بعد هذا شأن التاريخ ولكن . لا خير في شعر يهبط به صاحبه ليرتدي في هاوية ، ولا خير فيه اذا جاء مفتعلا ، متقمصا ثوب الصدق لا يكاد يقف على قدميه حتى يتهاوى ، فيبتلعه شبح الموت ..» .

وقاطعني ابو عفاف فترة برما بي وناقما علي ..

الواقع ان الانطباع الذي كان ابو عفاف يتركه عند خلانه وصحابه ، يتنازعه الرضا تارة والسخط تارة اخرى انه وان كان عاطفيا حاد العاطفة ، فانما يتودد الى خدينه ويبذل له ما يستطيع اليه سبيلا ، ثم لسبب او لغيره ، كان يضيق به ، ويغضب عليه ، ويتولى عنه ..

ولعل ابا عفاف في علاقاته الشخصية يخضع لاهوائه النفسية ، ولتيارات الزمن ، بيد انه ما كان يتخلى عـن اصدقائه الاقدمين .. الاقربين ، الا اذا كان مضطرا اشد الاضطرار ، لانه كان يضمر لهم في قراره شيئا كثيرا او قليلا من الوداد والاحترام ..

صلته بي كانت مرضية .. وثيقة لم تضعضعها اعاصير الايام وتقلباتها .. من جانبي كنت احرص عليها . بالرغم من ما كان يطرأ على مواقفه مني ، ويستجد في واقعه . كذلك كنت اعذره بعض الاحايين ، وانا اقدر ظروفه التي هو أسير بين فكيها ، لا منجاة له منها ..

فقد كانت محبته لي كصديق قديم .. باق على العهد تأخذ اشكالا ولا تستمد بواعثها من جوهر ذاتيته.. حيث تتجلى طورا في الرسائل الشخصية التي كان يرسل بهـا الي ، وطورا اخر في الكلمات التي كان ينشرها عني وعـن كتبي في الصحف ، وطورا ثالثا في الاحتفاء بي كلما زرت مدينتي العذراء : كركوك تجديدا لروح الحنين اليهـا ، وتعبيرا عن حبي الكبير لها ، ولمن بها من اهل وصحاب..

يوم عقد قراني في ١٤ ــ ٢ ــ١٩٦١ ، انهالت التهنئات والتمنيات ، لكن شيمة ابي عفاف ابت الا ان تباغتنـي بمقطوعة وجدانية يصرخ فيها الوفاء والاخلاص ، نشرت بصحيفة « كركوك » :

وكـان قرانك الميمون عيـدا   نظمت عواطفـي فيه قصيـدا
وصفـت من المشاعر خير عقد   فهـل لي في زفافك ان اشيـدا
فقـد صيغ من قلب محـب؟   يفـوق بطيب جوهره العقودا
اتـاك يسيس في حلل الامـاني   ليلثم منـك سالفة وجيـدا
ويبلغك التهـاني من صـديـق   وفي عـن ودادك لن يحيـدا
يراك وقد ملكت ذر المعـالي   واداب العلـى فينـا (وحيدا)
احاطتـك القلـوب بمهرجـان   فكنت بافقهـا قمرا جديـدا

ثم كانت العلاقات الادبية والروحية مستدامة .. متواصلة بيني وبين ابي عفاف ، بعد هاتيك الاعوام الطوال. على القرب باللقاءات وانا بكركوك ، وعلى البعد بالمراسلات وانا ببغداد ، وقد استقررت بها منذ اواخر عام ١٩٦٤ ..

ففي الوقت الذي كنت احرر فيه القسم العربي من مجلة « الاخاء » التي كان وما يزال يصدرها نادي الاخاء التركماني ببغداد ، كان ابو عفاف يحرر القسم العربي من صحيفة « كركوك » التي كانت تصدرها بلدية المحافظة(٧).

اذ كنت انشر لابي عفاف على صفحات «الاخاء» بعضا من ما تجود به قريحته من طرائف الموضوعات والاشعار . وقد اغمط حقه لو انكرت دوره الظاهر الذي تولاه فـي الصحافة الكركوكية عبر الخمسينات من حيث الاشراف الفعلي في التحرير والنشر ، الى جانب المساهمة في انعاش الحركة الادبية في ربوع كركوك ومن خلال المشاركة فـي الاحتفالات القومية والوطنيـة والدينيـة ، والندوات الجماهيرية والفكرية والسياسية .

على انه لم يتقاعس في يوم ما عن الاستجابة لنـداء ضميره الادبي بالنسبة الي والى الاخرين ..

فحين اهديت اليه كتبي (خواطر هائمة . اعلام من الادب التركي . كلمات في الرصافي) كتحية ادبية متواضعة

---

(٥) انظر العدد ٦٤ لعام ١٩٥٦
(٦) انظر العدد ٢٣ ــ العام ٨٧ في ١٤ــ٦ــ١٩٥٦
(٧) توقفت هذه الصحيفة التي كانت تصدر باللغتين العربيـة والتركية بعد ما يقارب من نصف قرن .
(٨) انظر العدد ١٩٠٦ في ٢٨ــ١١ــ١٩٦٦

وكدليل على تعزيز اواصر الزمالة التي تؤلف بيننا ، سر بذلك سرورا حمله على ان ينشر في صحيفة « كركوك »(٨) مقالا عنوانه « اعمدة من نور .. » جاء فيه : « تفتقت اكمام ثقافته منذ حداثته ولازمه النبوغ في ميدان الكتابة والتأليف بصورة مدهشة منذ ان كان طالبا في الاعدادية فنشرت له كبريات الصحف والمجلات المقالات والبحوث الضافية فلفتت الانظار الى ادبه الثر وعلمه الغزير وكانت الصحف العراقية تتلقف مقالاته بنهم ويعاتبه اصحابها اذا هو اغفل تلك الصحف من ذلك الاشعاع الاخاذ . وفي هذه المرحلة : مرحلة الدراسة كان منصرفا بكليته الى البحث والكتابة والاستقصاء ووضع اللبنات الاولى في تأسيس مكتبته في بيته ، وقد اصبحت من بعد نجعة الرائد وكعبة القاصد زاخرة حافلة بكنوز ثمينة من الكتب .. ولقداذيعت له احاديث ادبية ودراسات ممتعةمن دار الاذاعةالعراقية . »

ثم ما هي الا فترة وجيزة حتى صدر كتابي « من الادب العربي الحديث » . فاراد ابو عفاف ان لا تفوته الفرصة وهي ملائمة ، ليتم القصعة من ناحية ، وليغرقني في شمائله الادبية من ناحية اخرى . اذ كتب في صحيفة بغدادية ، يقول : « وهذا الكتاب سفر جليل يضم بين دفتيه الدرر الثمينة واللآلىء النفيسة من ادبنا المعاصر ، لادباء اعلام وشعراء فحول لهم وزنهم ومكانتهم الادبية والعلمية المرموقة وقد كتب مقدمة الكتاب الدكتور صفاء خلوصي الاستاذ بجامعة بغداد الذي اشاد بالقابلية الادبيةوالمواهب الرفيعة التي يتمتع بها المؤلف كعالم ومؤلف وكاتب وبحاثة واثنى كثيرا على قيمة الكتاب الادبية ... » .

وفي السابع والعشرين من شهر مايس عام ١٩٦٧ انعم الله علينا بابنة ، وددت ان اسميها « اياما » تأثرا بقوله سبحانه وتعالى « وتلك الايام نداولها مع الناس » ، وايمانا مني بان الحياة ـ بالرغم ما لها وعليها : بداية ونهاية ـ ايام تتسابق وتتلاحق ، ثم تتلاشى في اقيانوس الابد كقطرة ذاهلة ..

تناهى هذا كله الى مسمع ابي عفاف وهو هناك،وهل يتوانى عن قرع مسمعي وانا هنا .

فاذا ابياته الشعرية تنساب بهدوء موسيقي اسر ، لتطرب قلبا وخاطرة ، ولتبدد قتاما وجهاما .. وبين خيوط جمالها تتهادى الزنبقة الفواحة « ايام » :

بسمت لك الايام والاعوام   واستأثرت بجمالك الاحلام
يا نغمة بفم الجمال واهله   من جرسها تراقص الانغام
يا شهقة النور البهي يشعه...   هذا الرواء وذلك الالهام
اضمومة قلب الحياة يضمها   وتحب لثم اريجها الانسام
هذي الطفولة ضحكة الفجر الذي   منه تبدد وحشة وظلام
نورت اروقة القلوب وهذه   اشراقة في الخير (يا ايام)

من هنا وجدتني اتضاءل خجلا امام صنيع ابي عفاف وقد طوق به عنقي على نحو لا يعرف النسيان اليه طريقا. انما انا انسان قد ابدو حينا عاجزا عن القيام حتى بأهون الاشياء . ذلك سبب لم اسبر غوره الى يوم الناس هذا..

وما كان بالامكان ايامئذ الا ان اقابل جميل ابي عفاف بالبسمة الداعية الى الرضا والشكر ، والتقدير الدال على الولاء والاعتزاز ، مرجئا الرد او بعضه اليه ، الى المقبلات من ايامنا .. فالايام طويلة امامنا ، وليس الجحود من شأني اذا عزمت وقصدت . لكن الاشياء مرهونة باوقاتها ودواعي هذه الاوقات ..

هكذا سكت راغما لا راغبا ....

ابدت لي الايام ما كنت جاهلا .. صدق الشاعر الحكيم

في يوم من ايام ١٩٧١ ، اسعدني فيه الحظ ان يصدر لي كتاب جديد هو « شخصيات من الادب المعاصر » وان اهرع الى اهداء نسخة منه الى ابي عفاف ، تكفيرا عن تقصيري في حقه ، وتكريما لاخاء لا يخلق ولا يبلى...

ما ان يدركه الكتاب حتى يصفق جذلا ، حتى تفيض قريحته المعطاء برسالة نابعة من اغوار الوجدان ، ومزدانة بابيات من الشعر الرقيق « وبعد .. فقد تسلمت باعتزاز عميق مؤلفك النفيس (شخصيات من الادب المعاصر) ولم يكن ذلك امرا مفاجئا لانني اعرف انك بحر من الثقافة لا ساحل له وساسعد ان شاء الله في قراءته . فاسمح لي ان اشد على يديك مهنئا ومباركا وراجيا لك التوفيق والنجاح لتظل شعلة وهاجة في اعلى سارية الادب والثقافة تنير للاجيال المتعاقبة طريق النور والعرفان . وهذهابيات متواضعة جدا جاءتك تتعثر بخطواتها خجلا وتقديرا اطمع من الاخ التكرم بقبولها وحسبي ذلك »...

صفق العلم في العراق طويلا   ثم ازجى التكريم والتبجيلا
للذي صاغ من عصارة روح،   ادبا زاخرا وعلما جليلا
(لوحيد) الاداب يسمو شموخا   في مسار التاريخ جيلا فجيلا
(لوحيد) الكتاب يسمو علوا   في افانينه ما استطاع سبيلا
حمل العبء كاتبا واديبا   ان عبء الاداب عبئا ثقيلا
خدم العلم والثقافة حتى   كان فيما افاد شهما نبيلا
عرفته دنيا الثقافة نجما   ضوؤه للنجوم كان دليلا
ان اسلوبه كينبوع روض ...   يشرب المرء ماءه سلسبيلا
حين تستاف عطره في صفاء   تحسب الحرف عنده قنديلا
انه شعلة تضيء المعاني   رتلوها ان شئتم ترتيلا
رتلوها فانها نفحات   . . . . . .

اخذ ابو عفاف في اعوامه الاخيرة يشكو ارتفاع ضغط الدم العالي .. فقد كان بدينا .. كثير التدخين ، بعيدا عن الحمية ..

وفي ليلة قارصة من ليالي كانون الثاني من عام ١٩٧٢ عاد الى بيته ، وكان مدعوا الى عشاء لدى بعض معارفه . فما ان دخل غرفته واغلقها عليه وشرع يؤوي الى الفراش حتى سقط على الارض سقوطا فظيعا كان له دوي ، فهرع اليه اهله ، ليجدوه جثة هامدة . باردة ...

دفن في مقبرة (المصلى) بكركوك في صبيحة اليوم التالي...

ترنيمة حب

يا حبيبي ، هاته النار التي تسري بصدري
لا تسل عنها فؤادي ، ففؤادي ليس يدري
لا تسل عنها دموعا كشفت للناس سري
لا تسل عنها ليالي التي ضاقت بامري

يا حبيبي انت ادرى بالذي اغوى فؤادي
والذي اجرى دموعي ، ونفى عني رقادي
والذي خلى حياتي خطوات من سهاد
والذي يجري لهيبا في عروقي ووسادي

يا حبيبي ، لي قلب ليس يرضى ان يتوب
ودموع من لظاها كاد جسمي ان يذوب
زحم الليل نهاري ، ومسائي ، والدروب
فانا بعدك ظل من خيال وشحوب

يا حبيبي ان تعد كنت سلامي واماني
فاغني ويغني لك قلبي بالاماني
فاذا نحن نداء رددته مهجتان
واذا الفرحة في العينين لحن واغاني

لم يكن قبلك لي يوم ولا كان غد
جئت تدعوني فلبى في فؤادي الموعد
فاذا دنياي ازهى وزماني اسعد
فأنا منك حياة ، انت منها الابد

يا حبيبي انا بالحب ولحن الغزل
في شباب العمر احيا ونعيم الامل
مسحت كفك عن خدي ودموع المقل
وسرى منك عبير ، فالربيع الحلو لي

القاهرة — حسين خريس

عاش غريبا ومات غريبا ..

اذا كان اضحكني في حياتي كثيرا ، فانه ابكاني في مماته اكثر.

وترامى من بعيد الي صوت صديقنا المغترب القس يوسف سعيد نزيل السويد شاجيا : « هل صحيح مات ابو عفاف . يا وحيد لقد مات جزء من ذكرياتنا الخضراء . بموته يموت نصف عالم النكتة . اه كم كان رائعا .. ابو عفاف الانسان الذي عرفتني عليه في مكتبة كركوك ستبقى ذكراه نقطة من لؤلؤ مخثر بالاشعاع ، منحدرة الى اغواري الذهنية . ارجو لهذا الانسان رغدا في علياء الله » ..

وفي ظلال الخلد يا صديقي !

بغداد — **وحيد الدين بهاء الدين**

تحقيقات عرضية

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

(١)

« الادب المقارن » ـ تأليف الدكتور محمد غنيمي هلال ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢ .

١ ـ ص ١٨٥ : كتاب « نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » للشريف بن الهبارية المتوفي عام ٥٠٤ هـ ، وكان وزيرا للسلطان « الب ارسلان » .. ـ ويحيل في الهامش على « ابن خلكان » : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٩ » .

لم يكن ابن الهبارية وزيرا او شبه وزير ، وقد مضى عمره يبحث عن مادة العيش . وحسنا فعل المؤلف اذ ذكر مصدره (ابن خلكان) . وابن خلكان يقول : « ابن الهبارية ... كان شاعرا مجيدا ... لكنه خبيث اللسان كثير الهجاء ... وكان ملازما لخدمة نظام الملك ابي علي الحسن بن علي بن اسحق وزير السلطان الب ارسلان وولده ملكشاه وله عليه الانعام التام والادرار المستمر .. » واذا ، فالوزير هو نظام الملك ، اما ابن الهبارية ففي خدمة الوزير يعيش على فضله ومائدته ، يمدح ..

٢ ـ ص ١٧٥ ـ ١٧٦ : « وقد اتت الى مصر ، الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، جماعة تمثيل سورية على راسها « سليم النقاش » ابن اخ مارون النقاش ... »

صحيح ابن اخ مارون : ابن اخي مارون .

٣ ـ ص ٢٤٦ : « اميل زولا ... الذي ارخ ـ في عشرين قصة ـ لافراد متعاقبين من اسرة خيالية سماها : روجون ماكار ... »

وعلى ص ٣٩٣ ـ ٤ : « وقد الف زولا ... في واحد وثلاثين قصة طويلة ، تاريخ اسرة فرنسية متعاقبة الشخصيات هي اسرة « موجون ما كار » ... »

الصحيح ما ورد في الخبر الاول اي انها عشرون قصة .

وصحيح « واحد » الوارد في الخبر الثاني :احدى .

٤ ـ ٢١٦ : الكاتب الفرنسي Le Sage في قصته : « جيل بلا ... »

الصحيح ان اسم الكاتب يرسم في كلمة واحدة غير مقطعة اي : Lesage

٥ ـ ص ٢٧١ : « ويعترف ابن سناء الملك باهمية الخرجة اذ يقول : « والخرجة هي ابذار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره ... »

صحيح ابذار : ابزار ـ وهذا من الخطأ الذي يقع فيه المصريون والشاميون ، عندما يقصدون الى تجنب الخطأ في لفظ الذال زايا ، فيضطرب الامر وتصير الزاي ذالا .

٦ ـ ص ٢٤٧ « المدن الخمسة » : «المدن الخمس » .

٧ ـ ص ٢٤٦ « جورجي زيدان » : جرجي زيدان .

٨ ـ ص ١٢٧ ، ٢٨٨ « عطيل ... ديدمونا » .

لم لا تكون « دزدمونا » وهي Desdemona

٩ ـ ان الطبعة الرابعة « للادب المقارن » نسخة مطابقة للثالثة وقد يزيد فيها خطأ مطبعي . فقد جاءت « جيل » في الصفحة ٢١٦ على « جين » .

١٠ ـ لو كان للكتاب خطة محكمة ، وتقيد المؤلف بصميم موضوعه لجاء الكتاب في حدود الـ ١٥٠ صفحة (عوضا عن ٤٦٨ ص) ، ولكان اوضح وانفع ولما استحال خليطا من تاريخ الادب والنقد والثقافة العامة اكثر من « الادب المقارن » .

(٢)

« في اصول الادب » ـ محاضرات ومقالات تأليف احمد حسن الزيات ، ط ٣ منقحة مزيدة ، القاهرة ،مطبعة الرسالة ١٣٧٢ ـ ١٩٥٢ .

١ ـ ص ٢ :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة المعالي كيف تبنى المكارم

ذكره المؤلف المحاضر في معرض الشاهد ، ولم ينسبه الى صاحبه (وهو ابو تمام) ، ويبدو انه اعتمد على ذاكرته والا فرواية البيت هي :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاة الندى من اين تؤتى المكارم

كذا في ص ١٨٣ من المجلد الثالث من « ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي » تحقيق محمد عبده عزام ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ، وفي هامش الصفحة : انه في نسختين : بغاة المعالي » .

واني ارويه عن استاذي المرحوم طه الراوي :«..بناة العلى من اين » ـ اذا لم تخني الذاكرة .

٢ ـ ص ١٧ « وتاريخ الحكماء لابن القفطي » .

الصحيح ـ او الاصح في الاقل ـ تاريخ الحكماء للقفطي ـ وهو جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف ولد في قفط من مصر العليا سنة ٥٦٨ هـ .

٣ ـ ص ١٩ « .. التاريخ .. عمر الوردي » .

الصحيح : ابن الوردي . وهو زين الدين عمر بن المظفر .. المتوفى ٧٤٩هـ .

٤ ـ ص ٣١ « الشعر الديني ومن اقدمه ... سفر ايوب عند العرب » « ... على ارجح الاراء » .

يبدي الزيات تشبثا ملحوظا بعروبة سفر ايوب .

٥ ـ ص ٤٤ « الاصمعي في كتابه « فحول الشعراء » ... »

صحيح فحول : فحولة

٦ – ص ٥٣ « ... كالخزيمي والعتابي والحسن بن هانىء ... »

الصحيح : كالخريمي – والخطأ في النص الذي ينقله عن ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، يرجع الى الناسخ او الناشر . والخريمي (بالراء) هو ابو يعقوب اسحاق بن حسان بن قوهي المتوفي سنة ٢١٤هـ .

٧ – ص ٥٧ « حتى ان ابن رشد الحفيد ... »وردت بفتح همزة ان والصحيح كسرها .

٨ – ترد الفاظ فرنسية لكلمات واعلام وفي عدد منها خطأ في الرسم مرده – بالطبع – المطبعة كما في ص ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٢٨٩ – ووردت درام ص٢٩٢ مؤنثة مع انها مذكرة ، وردت La drame وصحيحها Le drame ... ٣٤١ .

(٣)

« كتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان » تأليف جبر ضومط ب.ع ، احد معلمي المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت ، طبعت بمطبعة التأليف (الهلال) بالفجالة بمصر سنة ١٨٩٦ .

١ – يمثل الكتاب نمطا من التأليف المبكر في العصر الحديث (اواخر القرن التاسع عشر) .

٢ – جعل « كتاب » من اصل العنوان ، كما حدث في التراث ، وقصدا الى الاحتفاظ بطابع تراثي والا فالمؤلف في صميم الجديد الغربي والشرقي ... ثم الاحتفاظ بالسجع ...

٣ – قوله ب.ع من الترجمات المبكرة لـ B. A.

٤ – احد معلمي ... اشارة الى ان الالقاب العلمية للاستاذ الجامعي لم تولد بعد . فهو اكثر من معلم بالمصطلح الجامعي ، وقد مضى عليه في تدريس هذه المادة نحو من ست سنوات .

٥ – المدرسة الكلية ... : معروف انها الاسم الاول لما سيصير « الجامعة الاميركية » ، ويعني ان كلمة « جامعة » بحروفها العربية لم تولد بعد او انها لم تصبح مصطلحا .

٦ – تنبه المؤلف الى شرائط التأليف الحديث – غير بعيد عن القديم . فكتب « مقدمة » ، اللفظة وحدها تكفي بدلالتها على « بيان الغرض الداعي الى تأليف هذا الكتاب» ولكنه لانه في عهد مبكر وضح مقدمته بهذا السطر الذي لا حاجة اليه كما اثبت الزمن .

وقد عرض في « المقدمة » خطته – كما يقتضي التقليد المنهجي : « اني بعد ان مهدت في علاقة العلوم الثلاثة النحو والبيان والمنطق ... قسمت الكتاب الى ثلاثة اقسام ... »

وهذا سليم ولكنه عندما عمل فهرس كتابه لم يثبت كلمة قسم ولم يرقمها فلم يقل : القسم الاول ... القسم الثاني ... القسم الثالث ...

ثم انه كان يضع عنوانات داخلية لم تثبت على مر الزمن مثل « خاطرة » .. ومثل البحث الاول ص ١٠٣ ، البحث الثاني ١١٢ ، البحث الثالث ١١٨ ترد اشبه بالمفاجئة ، ومثلها فصل ص ١٥٩ و باب ص ١٩٥ .

وهذا يدل على مرحلة البداية في منهج التأليف ورسم الخطة .

٧ – من جميل ما عمل في المقدمة ان دعا المشتغلين بالموضوع ان يبدوا له ملاحظاتهم واستعمل لذلك « ...ان ينتقدوا علي ما كتبته ... » واستعمال ينتقد على هو الصحيح ولكن « على » هذه سقطت على مر الايام ...

٨ – قال في ختام الكتاب « انتهى ما اردنا تعليقه من مسائل المعاني وكان الفراغ من تبييضه ... سنة ١٨٩٦ مسيحية ... »

أ – يقصد بتعليقه بيانه او كتابته والتأليف فيه – والكلمة تراثية زالت على مر الايام .

ب – قال مسيحية ولم يقل ميلادية ، وقد تكون الاصح ولكنها لم تشع .

٨ – جاء ص ٨٤ : « كقول الخريمي يرثي ابنه :

ولو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع
واعددته ذخرا لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر مولع

ذكر ذلك شاهدا على حذف المفعول به .

الصحيح : يرثي خريم بن عامر بن عمارة بن خريم .

٩ – طبع الكتاب طبعة ثانية في بيروت سنة ١٩٣٠ ، اشرف عليها « نجيب جبرضومط وقال في مقدمة الطبعة : « في اواخر العام الماضي كان والدي يعيد النظر في هذا الكتاب ، اول كتبه المدرسية ، ... لكن توفاه الله قبل ان ينجز عمله كما احب ... كان قد نقح بعض صفحاته فاثبتها كما جاءت بخط يده . سوى اني قد غيرت في تنسيق ابوابه وترتيب فصوله ، واخترت للفصول عنوانات تتناسب حروفها مع مباحثها ... »

وهذا يبين التطور الذي حدث في مفهوم المؤلف العربي عن التبويب ، وقد وردت كلمة « خطة » في وسط المقدمة عنوانا لفقرة منها .

اما القول ان الخريمي يرثي ابنه فقد بقي كما هو – خطأ – .

١٠ – اعادت مكتبة لبنان – بيروت هذه الطبعة – بالاوفست – كما يمكن القول – دون اي تغيير او ذكر لتاريخ هذه الطبعة الثالثة والسبب الموجب اليها –والانسب – ان لم يكن الواجب – الذكر . ومن لم يقع على الطبعة الثانية يحسب طبعة مكتبة لبنان – بيروت هي الثانية .

(٤)

– « مختارات المنفلوطي » – جمعه المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة السعادة د.ت. تاريخ اهداء الكتاب ١٥ مارس سنة ١٩١٢ ، القاهرة.

١ – ص ٣٠ « مناظرة بين صاحب ابي تمام وصاحب البحتري للآمدى » – وفي الذيل : « الظاهر ان الآمدي

فرض هذه المناظرة فرضا ليمثل فيها رأي المتشعبين للدينيك الشاعرين » .

افتراض يحترم ، ويحسن ان يعلمه دارسو «الموازنة» ويحفظوا للمنفلوطي مقامه فيه .

٢ – ص ٣٨ « حقيقة البيان ، لبعض الكتاب المتقدمين » : « ان المعاني القائمة في صدور العباد المتصورة في اذهانهم والمختلجة في صدورهم ... مستورة خفية وبعيدة وحشية ... وانما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها واخبارهم عنها ... »

صاحب هذه السطور من « المتقدمين » الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » – ينظر تحقيق عبد السلام محمد هارون ج ١ ص ٧٥ .

٣ – ص ٤٩ « الشعر » « لاحد الادباء المعاصرين » :
« كتب الي كاتب يقول : عرفناك قبل اليوم شاعرا ما تكتب فقرة ، ثم رايناك بعد ذلك كاتبا ما تنظم شطرة ... ؟

يبدو لي – بدرجة اليقين – ان « احد الادباء المعاصرين » هذا هو المنفلوطي نفسه وانه كذلك حيث ترد هذ العبارة في كتابه كما في ص ١٦٠ « البيان » ، وص١٧٧ « ادوار الشعر العربي » .

٤ – ١٩٧ « فكان شعراء اليونانيين الرومانيين يسمونها (الموز Les Muses)ويفسرونها بآلهة الشعر ... »

الصحيح : شعراء اليونانيين والرومانيين ..

٥ – ص ٢٠٤ « ذم الغيرة لبعض الشعراء المتقدمين:

ما احسن الغيرة في حينها واقبح الغيرة في كل حين .. »

الابيات للخريمي (ابي يعقوب اسحاق بن حسان المتوفى سنة ٢١٤) – وقد تنسب لمسكين الدارمي .

وللخريمي البيتان اللذان وردا على ص ٢٠٦ :
« اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ... »

٦ – ص ٢٠٦ :

وكان راينا من غني مذمم وصعلوك قوم مات وهو حميد

في رواية البيت خطأ مطبعي صحيحه : وكائن رأينا .

وفي الكتاب اخطاء اخرى « لا تخفى على اللبيب »، ومنها ما يعود الى اللسان المصري الدارج في لفظ الذال زايا كما في ص ٢٢٦ ، فقد وردت « عازر » وهي عاذر ، ومنه غير ذلك كقول ابي حاتم عن مروان ابن ابي حفصة ص ٤٥ : « شاعر يستحسن كلما جاء منه ... » والصحيح : كل ما ، وتكررت ص ١٢٢ منسوبة لقلم الشيخ نجيب الحداد : « انقل كلما رايته » : .. كل ما ..

٨ – « مختارات المنفلوطي » هذه التي وقعت لي (ط. السعادة) في جزء واحد . وليس فيها ما يشير الى الاجزاء .

وفي « اعلام » الزركلي : « مختارات المنفلوطي – ط» الجزء الاول . وفي « مصادر الدراسة الادبية » لداغر : « مختارات المنفلوطي » – مصر ، مطبعة المعارف ، جزآن .

٩ – ص ٤٧ في « نظرات المنفلوطي لاحمد لطفي بك السيد » قال : « من الكتاب من ... لا يكتب الا اذا قامت

حكاية المقص

هم اخبروني منيتي
ان المقص قد عبر
رأسك كالوحش مقطعا
ضفائر الشعر
فقمت حالا ورسمت
روضة بلا شجر
وحينما انهيت رسمي
تحت الحنان المطر
رأيت انه كمان
ساحر .... بلا وتر
فدست لوحتي .. رميتها
بأسراب الحجر
وكان دمعي فوق خدي
جدولا رث الصور
يرسم لوحات بالوان
الخريف والكدر
وعندها رأيت نفسي
بين امواج الضجر
فررت كالطفل الصغير
ان اكذب الخبر

وجدة – المغرب — محمد علي الرباوي

بنفسه اغراض واضحة يحب ان يبرزها للناس في الثوب الذي يناسبها على تفصيل مودة الاذواق الحاضرة ... »

كأنه يستعمل « المودة » – من اللفظة الفرنسية التي ترسمها الصحافة المصرية على الموضة .

(٥)

– « الادب وفنونه » – تأليف الدكتور محمد مندور، القاهرة ، دار نهضة مصر د.ت (الف سنة ١٩٦١ – ١٩٦٢)

ص ٥٥ « ولدينا في العصر الوسيط ملحمة (الشاهنامة) عن الشاعر الفارسي الكبير « الفردوسي » وقد ترجمها المرحوم عبد الوهاب عزام ... »

لم يترجمها عزام وانما حققها وقدم لها ونال بتحقيقه الدكتوراه . اصدرها في القاهرة سنة ١٩٣٢ . اما المترجم فهو البنداري المتوفى سنة ٦٤٣هـ – ١٢٤٥م . وقد ترجمها نثرا وباختصار .

بغداد – كلية الاداب — علي جواد الطاهر

بريد غير منتظر

كان (معروف) اذا ابصرني   في طريقي ، خف كي يصحبني
فاحييه بلفظ موجز   واجافيه لكي يتركني
ثم لا يمضي فأضطر لان   ارسل القول كما يحضرني
وحديثي كله عن زوجتي   والذي كابدته من محني

وعلى غير انتظار هزني   نعي (معروف) فأذكى حزني
وقضيت الليل في سخط على   نكد العيش وبؤس الزمن
ضجرا في مضجعي حتى اذا   اوشك الفجر تسنى وسني
فاذا مرج بهيج اخضر   ماج بالعطر وبالزهر الجني
حول نهر صورت صفحته   شجرا راح عليه ينحني
انه الفردوس ، سحر رائع   كل فن عنده يعجبني
واذا اجنحة بيض به   من يشاهد خفقها يفتتن
ترسل النور طيوفا حلقت   كرباب في اعالي القنن
وهفت تدنو من الارض فيا   فتنة تدهش اقوى الفطن
اذ غدت حورا حسانا تزدهي   من ربى الخلد باحلى موطن
عجبا اشهد ما يدهشني   اذ ارى في الحور ما يذهلني
انها اللهفة رجت خافقي   انها الرعشة هزت بدني
هذه ليلاي فيهن فهل   قدمت من اوجها تسعدني
علمت وجدي فخفت ترتجي   بعض تخفيف لما يثقلني
هتفت لم استطع تبرير ما   انت فيه من عناء مشجن
انا في الفردوس احيا في رضا   علوي ، ما الذي ينقصني
انا في الجنة ، طل وشذى   وعلى الايكة طير الفنن
انا في البدر سناه فارتقب   مشرق البدر لكي تشهدني
انا في النهر زلال فارتشف   منه كي تطفىء وهج الشجن
لم تغدو هكذا مكتئبا   لفراقي ؟ ذاك ما حيرني
لم تغدو ذابلا ممتقعا   في ثياب انت ام في كفن
صبر الاطفال يأسا فاصطبر   أصغير انت ؟ هل تفهمني
انت لطف الله فيهم فانر   لهمو وجهك كي ترضيني
قلت من نباك الامر فلم   تصغي غير الذي حطمني
فاجابت في هدوء واثق   ان (معروفا) اتى يخبرني

ليتني حدثت (معروفا) بما   كان في نفسي ولم اختزن
صار للاخرى بريدا ليتني   زدت فيما قلت ، كي تعذرني

الرياض – كلية اللغة العربية   محمد رجب البيومي

ارخى الليل سدوله .. والمطر يغرق كل شيء .. والطريق المؤدية الى دار الاوبرا شحيح الضوء .. بينما توقفت سيارة اجرة ، وهبطت منها اسرة مؤلفة من زوجين ، وابنهما الوحيد ..

وفيما هم يعبرون الطريق ـ بسرعة خوف البلل ـ تشبث برب الاسرة احدب صغير ، كان قد انطلق ـ من تحت صندوق للقمامة ـ صوبهم اثر هبوطهم من السيارة .

غير ان الرجل قد دفع الاحدب بعنف ـ مبعثه الاشمئزاز ـ جعل الاخير يتأرجح ، ويسقط في وحل الطريق ، بعدما اختل توازنه ، لثقل حدبته .. بينما دلفت الاسرة الى الاوبرا ...

ومن تحت صندوق القمامة ـ ذاته ـ اندفعت طفلة مسربلة ،مبتلة الجسد صوب الاحدب ، وهي تخرج صوتا راعشا من بين اسنان صغيرة مصطكة .. وراحت تجره ، محاولة رفعه من الوحل ، لئلا تدهمه السيارات المارقة .

وما ان نهض الاحدب على ساقيه المعوجتين ، حتى اخذ يظلع ، وقد اعتمد بذراعيه على كتف اخته ،التي جعلت تعنفه ، لانه لم يأبه لها حينما حاولت استبقاءه .. وعند الصندوق اخذت الطفلة تزيل الوحل العالق بجسد اخيها ، وتعصر اسماله ..وما ان انتهت من ذلك حتى تلفتت حولها متسائلة عن حقها الذي افتقدته .. وما ان لمحته ، والرياح الباردة تدفعه في عرض الطريق حتى هرعت اليه.. وجمعت اعقاب السجائر التي بعثرت بعدما التقطته ..

وبعدما عادت اخرجت رغيفا من قاع الصندوق ، حيث كانت تخفيه تحت القاذورات خشية البلل ، ثم هتفت ، وهي تتحسس ما بداخله ان الطعمية لا تزال ساخنة ..ودعت اخاها للطعام .

فزمجر الاحدب ، وزوى ما بين حاجبيه ، معلنا غضبه .. فتأوهت اخته ، وهي تحضر الملح من احد الثقوب ، واقسمت برحمة امها ان الطعمية من عند الاعرج .. وليست من عند الحاج .. اذ ان الاخير لا يعطيهما شيئا بلا مقابل .. وحتى لو فعل ذلك فهي لا تقبل منه شيئا منذ ان صفع اخاها وطرده من المحل ..

تناول الاحدب نصف الرغيف مهمهما في تعثر :

ـ لقد كان معي ـ يومئذ ـ ثمن ما اردت شراءه .. الا انه ضربني على قفاي ، وهو يرعد قائلا :

ـ اخرج يا ابن المبلية .. انا لا ادري اين الحكومة لتجمع هذه الآفات ، وتحرقها ..!؟

ـ وهل يهون عليه ان يحرق



بقلم محمد حسين عبد المجيد

ابنه ـ ذلك ـ الذي تركه يتسول بعد ان ماتت امه ، وتزوج ـ هو ـ غيرها ..!؟ على رأيك .. لقد هان .

وما ان انتهى الاحدب من تناول طعامه حتى دفع بيده الشوهاء تحت طيات اطماره ، واخرج حافظة نقود منتفخة.. فصاحت اخته مشدوهة :

ـ كيف تجرات وسرقتها ...؟ ورحمة امي انك ذاهب الى النار ..

فكشر الاحدب عن انيابه .. وبان غضبه عاتيا .. فاندفعت اخته قائلة ... وكأنها تقرا تعبيرات وجهه :



ـ آه .. اذن هي سقطت منه .. ولم يكن ضربه لك الا لانك كنت تريد ان تستوقفه ، لتردها اليه ..

ـ لقد ذعر حينما رآني .. ولم يقبل ان يلتفت الي ..

وارتسمت الحيرة على وجهه المجدور حينما سألته اخته بغتة :

ـ وماذا سنعمل بها ..؟ دعنا نر ما فيها ..

استجاب لرأيها ، وفتح الحافظة .. فندت عنهما صيحة فرح ، امتزجت بالدهشة والذعر .. عندما برزت من الحافظة اوراق حمراء من فئة العشرة جنيهات .. اخذا يحصيانها .. وفي كل مرة كان يصاب الاحدب بنوبة سعال ، فيخطيء العد ... على ان المبلغ لم يكن يزيد عن السبعين جنيها .

رد الاحدب كل شيء الى مكانه ، وبريق عينيه يزداد تألقا .. فقد طاف بخياله كل مكان يحبه ..ولمس بيد وجلة كل ما تستهويه نفسه ـ هو ـ واخته.. ومضةاستطاع فيها ان يحلق باخته حيث يمنعهما الحرمان .. وبعدما عاد حيث شده ثقل ما وقع فيه ، نفض رأسه الكبير ، وقد انتشله من فترة صمت خالها ازلية، ثم ابتدر اخته قائلا :

ـ اتظنين اني لا اعرف قيمة هذا المال .. ؟ ليسخطني الله اذا كنت لا اعرف ذلك ..

ونهض متحاملا .. وساقاه المعوجتان تضطربان ، ثم جعل يدور حول نفسه ، ويقفز في ابتهاج .. ومن خلال رقصاته كان يشاهد اخته جالسة ـ تقضم رغيفا ابيض محشوا بالجبن الرومي ـ مع جماعة من اترابهما .. وقد التفوا حول نار مضطرمة ، ليستدفئوا بينما انضم اليهم ابن الحاج المتسول .

ثم توقف بغتة ، وقد دفع يده في جعبته ، ثم تطلع الى ما اخرجه تارة .. والى الحافظة اخرى ... ثم بسط يده ـ اخر الامر ـ بما فيها لاخته .. وقد لاحت على وجهه

سيماء من حزم امره .

ـ ما هذه ..؟ خمسة قروش .. مرة واحدة ..؟

قالتها في دهشة .. وكأنها نسيت ما بالحافظة من مال .. فرفع الاحدب راسه بعد نوبة سعال حادة .. واجاب :

ـ لقد القت بها السيدة في حجري ..

ـ آه .. لو تعلم انها خمسة قروش ما اعطتك اياها ..

وبشعور من الاحدب بالمرارة قال ان السيدة اعطتها له وهي على يقين من انها خمسة قروش .. منحتها له لانه يشبه ابنها في .. في حدبته .. وتراءى له الطفل الجميل الذي كان يلبس معطفا فاخرا ، مبطنا بالفرو الناعم الذي استطاع ان يلمسه باصبعه القذرة .. وسقطت عيناه على رجليه المشوهتين ، ثم انتقلتا حيث رجلي الطفل المتنعلتين حذاءا احمر مبطنا بالفرو ايضا .. ثم نفض راسه من حيث شرد .. وامسك برجليه المتجمدتين ، وهو يهيب باخته ان تخرج من الصندوق لتشتري لهما طعاما بالخمسة قروش كلها ..

ـ كلها ..؟

ـ اجل .. كلها ..

وانطلقت الطفلة لتحضر الطعام .

بينما لم يكد ينفرد الاحدب بنفسه حتى استغرق مفكرا في صاحب الحافظة .. وزوجه الحسناء ... وابنهما .. وعقدت الدهشة لسانه حينما تذكر الصفحة التي تلقاها من الرجل ، مع ان ابنه يشبهه في حدبته .. على انه ما لبث ان تحقق من ان مرد فزع الرجل الى ما هو عليه من حال .. وانه اعطاه الصورة التي يمكن ان يكون عليها ابنه فيما بعد ..

واذعن لنوبة سعال حادة ، بددت افكاره ، وجعلته يخرج من استغراقه ... فاخذ يظلع متجها صوب الاوبرا ... وهنالك دخل متسللا حيث القاعة الكبرى ، التي الفاها غاصة بالنظارة .. سار في الممر الى منتصفه .. وما لبث ان قفل عائدا بعدما ادرك انه لن يستطيع العثور على ضالته .. غير ان صوت الكمان، الذي انفرد بالعزف قد استوقفه ، وشد انتباهه ، فاستدار ، فاغر الفم ، ونسي نفسه في وسط الممر .

ـ تعال .. ايها القزم .. لقد ظننتك بادىء الامر كلب احد السادة، تروح وتجيء كما يحلو لك ..

باغته الحارس العملاق بذلك عند الباب ، وقد اطبق على عنقه ، وراح



محمد حسين عبد المجيد

●

يضربه على حدبته الى ان بلغ به الطريق ..

عاد الاحدب الى اخته ، وهو يكتم شكواه من الالم .. ثم اندس الاثنان داخل الصندوق .. على انه ما لبث ان اخذ يهذي ، وهو يسعل تارة ، ويعطس اخرى .. وبعدلأي اخرجت اخته اعقابا جافة كانت محتفظة بها .. وراحت تشعل له الواحدة تلو الاخر ، ليدخنه ، الى ان امتلأت رئتاه بالدخان ، وانفلق رأسه من السعال ..

وعلى صرخاته استيقظت اخته مذعورة في الصباح ، فالفته جاحظ العينين ، محمرهما .. والحمى تسحق عظامه الهشة .. نهض يتلفت، والذعر يطل من عينيه ، واستطاعت اخته ان تستخلص من هذيانه من ان هناك ما كان يطارده في منامه ... اشياء اشبه بالسنة النيران ..ولكنها كانت تنبثق من الحافظة .. ثم صاح في يأس بأنها نفس الاوراق التيكانت تحصل عليها امه لكي تشتري لابيه الافيون الذي كان يتعاطاه .

والفى نفسه يفكر في ام الاحدب الجميل .. تلك الام الحسناء ،التي تلوح عليها سيماء الرفاهية .. وعزا ذلك الى زوجها ، الذي اصبح يجله، ويشعر نحوه بالحب العميق .. حتى انه اصبح مشدودا اليه ، محاولا ان يراه بثاقب بصيرته .. وماذا عساه فاعل بعدما فقد حافظته بما فيها من مال .. اعتقد انه ربما يدخره لعلاج ابنه من حدبته قبل ما تنمو وتستفحل ..

وفي اعياء شديد بدأ يطلع مع طلوع النهار ، ثم جعل يقفز من سيارة الى اخرى ، وفي يده البطاقةالمحتوية على اسم صاحب المال وعنوانه .

وبعد لأي استطاع الحصول على مبتغاه .. ومن ثم راح يصعد الدرج .. وامام احدى الشقق توقف ، ثم طرق الباب الذي ما ان فتح حتى انصفق بشدة .. كرر ذلك في كثير من الابواب .. ثم طفق يهبط الدرج، حيث لجأ الى البواب الذي ما ان رآه حتى استشاط غضبا ، لم ينطفىء الا بعدما راى البطاقة ... وبعد تردد منه اشار على الاحدب ان يصعد حيث الطابق الثالث ..

وهنالك طرق الاحدب باب الشقة المقصودة بالحاح شديد جعل السيدة التي هرعت لتفتح بادية الضجر ... على ان الاحدب ما ان راى تلك السيدة حتى تعرف عليها من فوره.. لذا انفرجت شفتاه عن ابتسامة بدت قبيحة بقدر ما كان يقصد بها

اكتب لي

اكتب لي ، اكتب اشعارا
اشعارك خبزي الروحاني
اشعارك تنضر احلامي ،
اشعارك تمسح اشجاني
اكتب لي ، اني ظامئة
لكلام حلو ريان
ردد لي قولا اعشقه
« اهواك » . بربك تهواني ؟
هل تطمع ان قلت : الدنيا
في عيني باقة الحان
صدقني ، وجداني ملك
لنجاوى شعر وجداني

تسألني : ماذا من شرهي
لهواك السمح النيساني
بي انثى ايقظها حب
من غفوة عمر وسنان
ابكي ام افرح ، لا ادري
افرحني الحب وابكاني

امس استوحشت فلم اسمع
همسا شعري التحنان
وووقفت اداعب شباكي ،
فراتني بنت الجيران
حاسدة ، آذتني لما
قالت لي قولا آذاني
زعمت لي انك تهزأ بي ،
ورثت لي حبي الصبياني
يا ليت قدرت فاخبرها
كم ذقنا طعم النيران

اكتب لي ، بدد احزاني
اكتب لي ، جدد ايماني
ينسيني احزان الدنيا ،
شعر احياه ويحياني
اخبرني ، هل تنسى يوما
وجهي ؟ هل يوما تنساني
هل تترك لي ذكرى تدمي ،
قل لي ، يا اغلى انسان

فوزي عطوي

صاحبها العرفان بالجميل .. ثم دنا من السيدة ، وهو يخرج الحافظة من ثيابه المهلهلة في عجلة ، وارتباك، مما ازعج السيدة ، وجعلها تتراجع .. بينما لسان حاله يقول :

ـ الا تعرفيني يا سيدتي ..؟ انت التي اعطيتني الخمسة قروش ليلة امس ..

كان بشعا .. فندت عن السيدة صرخة هلع ، جعلتها تصفق الباب بشدة ادهشته وجعلته يطرق الباب من جديد وهو يتراجع الى الوراء ..

فتحت السيدة مرة اخرى ..على انها ما ان رأته ـ هو نفسه ـ حتى صاحت فيه معنفة .. فخرج الزوج مهرولا .. بينما صعد البوابون في ضوضاء راعدة .. فزمجر الاحدب محاولا تخليص الحافظة من تحت اطماره ، التي كان قد اعادها اليها .. وقد استبد به الفزع عندما رأى العصى المشرعة ، والمكانس تندفع مقبلة على الدرج ..

ـ هكذا .. يا اولاد الحرام ... تأتون للسرقة في .. في .. والله لاقضين عليك ...!؟

ورفع البواب هراوته للانقضاض على الاحدب دونما رحمة .. فصرخ الغلام اثر ضربة مؤلمة ، وهو يمد يده لهم بحافظة النقود ... !

القاهرة محمد حسين عبد المجيد

من كل واد عصا

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

يسمعنا المذياع بين الفينة والفينة اصوات اناس يتصدون الى اللغة ، وكأنهم يبدون غيرة عليها زاعمين ان ما يصلحونه من خطأ في زعمهم هو الصواب ، وما يزعمون انه خطأ يكون هو الصواب ، وفاتهم ان من اراد ان يتصدى لمثل هذه الابحاث يجب عليه ان يتعرف الى كتب ارباب اللغة ولاسيما العلماء الكبار المشهود لهم بصحة ما يقولون وما يثبتون في كتبهم كالخليل ابن احمد وسيبويه وابن جني وابن قتيبة وابي العباس المبرد والقالي والسيرافي وابن سيده وغيرهم كثر ، وان ينقب في معاجمهم ومقالاتهم كما فعل الشيخ ابراهيم اليازجي وامين ناصر الدين والجندي وحنين ومن لف ملفهم وطرس على منوالهم كالعلامة محمد العدناني حديثا .

وليس مجرد القول : هذا خطأ والصواب كذا غير مؤيدين قولهم ببرهان او اجتهاد ، وكأني بالبعض منهم يرغبون في اثبات وجودهم « ولو كسروا ميزاب العين » سعيا وراء الشهرة عن طريق معوج لا اثر للاستقامة فيه من ذلك ما اسمعنا احدهم قال : « يقولون حضر الوزير الفلاني بنفسه ممثلا رئيس الجمهورية » وانكر دخول الباء على نفس وحسب ذلك خطأ وهو لو رجع الى كتب القواعد الموثقة ككتاب نار القرى في جوف الفرا المختصر بقلم الشيخ ابراهيم اليازجي في باب التأكيد (١) لوجده يقول: « واعلم ان النفس والعين قد تجران بباء زائدة نحو جاء الامير بنفسه فيجري عليهما اعراب المتبوع محلا » وقوله : لايقال « وردني كتابك ، بل ورد علي كتابك » اليس فعل ورد فعلا متعديا وقد يأتي لازما اما المتعدي فقد ورد في بيت للمتنبي قوله :

يرد اذا ورد البحيرة شاربا   ورد الفرات زئيره والنيلا

ففعل ورد هنا قد تتصل بضمير النصب فتقول « وردني كتابك » وقد استعمل هذا التعبير غير واحد من البلغاء منهم الشيخ ابراهيم اليازجي قال : « وردني كتابك (٢) » .

وقد يأتي فعل ورد لازما كقول الشاعر :

ورد الربيع فمرحبا بوروده   وبنور بهجته ونور وروده

فورد هنا فعل تضمن معنى جاء فكما تقول جاءني كتاب زيد تقول « وردني كتاب زيد « ، وقد انكر ان يكون لفظ الطير مفردا وقال انه جمع مستشهدا ببيت امرىء القيس :

وقد اغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وهو لو رجع الى المعاجم لوجد ان الطير تقع على الواحد والجمع معا ، والطير بالفتح مصدر طير وجمع الطائر وقد يقع على الواحد ومن امثالهم : كأن على رؤوسهم الطير اي ساكنون هيبة ومنه قولهم : لا طير الا طير الله ، وازجر احناء طيرك اي جوانب خفتك وطيشك .

وزعم ان دون لا تجيء الا مقرونة بالباء ، وفاته ان دون نقيض فوق ويكون ظرفا بمعنى اسفل وبمعنى امام وبمعنى وراء وبمعنى فوق وبمعنى غير الى اخره وهذه لا تلزمها الباء قطعا فتقول : حال الامر دون فلان ، وتكون اسم فعل بمعنى خذ نحو : دونك الكتاب اي خذه ولكن اذا كانت بمعنى قبل دخلت عليه من والباء قليلا (٣) ويقال دونه خرط القتاد اي امامه . ويقولون ان هذه المادة لم تذكرها المعاجم كما في جمع ضريح على اضرح وهو مقيس كطريق واطرق وكذلك فان نهار يجمع على انهار مثل زمان وازمان وانشد النابغة الذبياني :

تورثن من انهار يوم حليمة   الى اليوم قد جربن كل التجارب

وانكرت المعاجم تبدت بمعنى ظهرت بل قالت ان معناها سكنت البادية ولكن قيس بن الحطيم اليثربي استعملها بمعنى ظهرت كقوله :

تبدت لنا كالشمس بين غمامة   بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وكقول اخر :

وبدت لميس كانها   بدر السماء اذا تبدت

ولم تذكر المعاجم لثم بمعنى قبل بل قالت : التثمت المراة : شدت اللثام على فمها مع ان عمر بن ابي ربيعه استعملها بمعنى اكثر من اللثم « القبلات » قال :

ربع لرخص البنان مختضب   طوبى لمن بات وهو يلتثمه

وقال ابو العلاء المعري :

من كل ازهر لم تاثر ضمائره   اللثم خد ولا تقبيل ذي اثر

فمتى ينظر اصحاب المعاجم الحديثة بالشعر القديم ويأتونا بالمعاني المستعملة عندهم غير متكلين على ما قال مؤلفو المعاجم في العصر العباسي فقط وقد وضعت لغير زماننا فنكفي شر البلبلة .

عيسى ميخائيل سابا

---

(١) نار القرى في جوف الفرا للشيخ ناصيف اليازجي المختصر بقلم ولده الشيخ ابراهيم ص ٢١٠ .

(٢) رسائل الشيخ ابرهيم اليازجي طبعة يوسف توما البستاني مصر ص ٦٩ .

(٣) راجع قطر المحيط مادة دون .

لحن الجوى

التقيت امير الشعراء احمد شوقي صيف عام ١٩٢٥ في بيروت ،واسمعته قصيدتي الاتية ، التي اعارض بها قصيدة ابن زريق البغدادي المشهورة ، التي مطلعها :

لا تعذليه ، فان العذل يولعه   قد قلت حقا ، ولكن ليس يسمعه

فاعجب بها ، واقنعني بالتحول من كلية الطب الى كلية الأداب ،/فلبيت رغبة والدي الروحي ، واستاذي الاكبر في الشعر . وانا ارجو ان اكون قد حققت فراسته في ، ورايه في شعري :

ما للموله سالت منه ادمعه   وزلزلت من دنو البين اضلعه
رأيته عندها ، والدمع مضطرب   الجكن يحبسه ، والوجد يدفعه
فخلت نفسك تدري ما الم به   يوم الفراق ، وما ترويه ادمعه
فللمآقي مراث لست تعرفها   وللدموع حديث لست تسمعه
وفي الضلوع انين لو اصخت له   لروعتك الرزايا ، وهي تصدعه
وللفؤاد وجيب ما درى ابدا   غير الهوى جامحا ما كان يفزعه

ما فرق الحظ بؤسي مرة خطأ   الا عدا الدهر نحو البؤس يجمعه
ولا اقتلعت اسى في الصدر منبته   الا انبرى الشؤم في ابن الصدر يزرعه
جارت نواك على قلبي ، فما تركت   لي الليالي سوى صبري ارقعه
فالوجد مضطرم ،واليأس محتدم،   والهم في الصدر كالنيران يلذعه
فاغدقي الحب حتى لا يراع اسى   صب ، فراقك كاداليوم يصرعه
فحسبه انه ما صب من الم   في كأس بلواه الا راح يجرعه
ان كان قلبك لا يرثي للوعته   فالدهر بي يا سليمى سوف يفجعه
فكفكفي بشغاف القلب ما نزفت   مني المآقي ، فمنك النبل منبعه
وانزليني فؤادا ، رحت في شغف   بلحن قلبي مفتونا امتعه

اما كفى الواله النائي يزلزله   صرف الزمان ، وبالكفين يصفعه
الم تر الوجد يبريه ، وينهكه   يا حب سلماه، حتى جنت تخضعه
فالليل لا ينطوي حتى يخلفه   من سهده في تهاويل تروعه
وفي الهجير تظل الشمس واقفة   تعانق الافق ولهى ، لا تودعه
كأن يوشع اغوته ، فأمهلها   لبثها حر اشواق تضعضعه
وحالة الصب في بيروت منذرة   بالويل ، فهو معنى القلب موجعه
يرف في جنبه ناقوس اضلعه   كأن للحب لحنا راح يوقعه
ان مسه الضر من امر يعود على   سلمى بنفع ، فذاك الضر ينفعه
او الانين غدا في السوق منبعثا   منها ، فصدري ببيروت يرجعه

يا هالة الروح ! كم من غادة نصبت   اشراكها لي ، وفيها السحر اجمعه
حورية من جنان الخلد قد شردت   والحسن اسدل فوق الوجه برقعه
لئن سالت التي لم يلقها رجل   الا تأجج بالاشواق مربعه
لأنبأتك باني مدنف محلت   اولاك سلمى من الوجاب اربعه
به حللت ، فلم يفتح لغانية   وان اتت ملكات الحسن تقرعه
سيحفظ الود خفاقي ، ويحرسه   حتى يوافيه في الحب مصرعه

محمد العدناني



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

في المؤتمر الاسلامي العام في مكة المكرمة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م

بقلم عجاج نويهض

* * *

بعد ان استولى الملك الامام عبد العزيز الفيصل السعود على الحجاز ١٩٢٤ - ١٩٢٥ اذاع تحت عنوان « منشور عام » بيانا الى مسلمي العالم ، مؤرخا في ٢٨ ذي الحجة ١٣٤٣ (ايلول ١٩٤٥) موجها هكذا :

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها » .

ويتألف هذا البيان من خمس فقرات يهمنا هنا فحوى الاولى والثانية . ففحوى الاولى شكر الشعوب التي وقفت الى جانب الامام عبد العزيز في الحرب التي دارت ودامت نحو ٢٠ شهرا بينه وبين الملك حسين بن علي ثم بعد تنازل الحسين في اثناء الحرب بين الامام امتدادا بلا توقف والشريف الملك علي بن الحسين ، رحمهم الله ، ومن هذا الشكر ما هو موجه الى اهل الهند المسلمين خاصة . وموجز فحوى الفقرة الثانية ان الامام عبد العزيز لم يزل :

« عند قوله فيما دعا العالم الاسلامي اليه من وجوب عقد مؤتمر عام ينظر في الامور التي تهم سائر المسلمين في الحجاز ... وستجدد الدعوة لهذا المؤتمر الاسلامي متى تمهدت وسائل الاصلاحات » .

كان هذا قبل اليوم بنصف قرن تماما . ولعله من المفيد تاريخيا ، قبل السير بعباب هذا الفصل الذي انتحي به منتحيين : بسط جانب من نضال السيد الحسيني في المؤتمر لنصرة الثورة السورية التي كانت تتناوح رياحها في جبل العرب وقتئذ ، وبسط نقاط من التيارات الاسلامية و « اللااسلامية » التي ظهرت على يد الوفد التركي في المؤتمر ، لعله من المفيد قبل هذا ان نوجز للقارىء الكريم ، ولاسيما اذا كان من الجيل الصاعد الموفق ولكنه لم يعاصر شيئا من حوادث تلك الايام قصة الحرب وعلي ان ابين تبيينا اني انما الم الماما بوصف كبرى حوادث هذه الحرب، دون ان اتعرض اقل تعرض لاسبابها السياسية بين البيت السعودي وبني هاشم ، فذلك خارج عن النطاق المقصود .

واعترف باني جد حريص على هذا كله ، بتوفيق الله، اذ باعتقادي ان مؤتمر مكة سنة ١٣٤٤ - ١٩٢٦ كان من اهم المؤتمرات الاسلامية العالمية في ما طرح فيه من قضايا، ونجم منه من تيارات لا تتفق ومصالح الاسلام والمسلمين على يد اديب ثروت رئيس الوفد التركي . وما عدا مؤتمرات جامعة الدول العربية ومؤتمرات القمة الاسلامية والعربية، فان مؤتمر مكة سنة ١٩٢٦ في الذروة والقمة .

في ٥ سبتمبر ١٩٢٤ سقطت الطائف بيد القوات السعودية وفي ٣ اكتوبر ١٩٢٤ تنازل الملك حسين لولده الشريف الملك علي ، وبعد مدة والحاح الاحوال ، برح الملك حسين مكة ثم الحجاز ، وتولى الامر الملك علي ولكن كانت كفته مرجوحة . وكان بوسع القوات السعودية يومئذ ان توالي السير الى مكة المكرمة ، وجدة ، والمدينة المنورة ، لان الامام عبد العزيز يكره سفك الدماء ، ويتقي القتال في حرم الله بوازع عقيدته الاسلامية ، فامر الجيش بان يقف مكانه حتى جاء هو الامام بنفسه ، ودخل مكة مع جيشه محرما بالعمرة في ١٣ اكتوبر ١٩٢٤ وجعل بعد ذلك يتأنى حتى تمكن الحسين وعلي من تحصين جدة قدر الامكان ، وارجأ الامام عبد العزيز الزحف على المدينة المنورة ، مكتفيا بمحاصرتها حتى اخذت اخيرا بغير قتال .

اما جدة فكان حصارها الشديد بين يناير ويونيو ١٩٢٥ وسقطت في ٢٣ دسمبر ١٩٢٥ وكان الاستيلاء على المدينة المنورة بغير قتال في ٥ دسمبر ١٩٢٥ وفي ١٩ دسمبر تنازل الشريف الملك علي ثم برح الحجاز .

وفي غضون ذلك ، اصدر الامام عبد العزيز ، رحمه الله ، هذا المنشور المتعلق بعقد مؤتمر اسلامي .

وهذا المنشور نشرته الصحف والمجلات في العالم الاسلامي (١) وبعد ان استقرت الامور في الحجاز بالامام عبد العزيز ، وجه الدعوة الرسمية الى الدول الاسلامية من مصر وايران وافغانستان واليمن وتركيا (وربما تونس) كما

● راجع « الاديب » عدد يوليو الماضي صفحة ٣٦

(١) مجلة « المنار » المجلد ٢٦ (١٣٤٣) ١٩٢٥ ص ٤٧٨ ومجلة « الزهراء » المجلد الثاني ١٣٤٤ ص ٢٥١ .

وجه الدعوة ايضا عن طريق الهيئات والمؤسسات الشعبية القائمة في كيانها في بلادها على اساليب انتخابية تمثيلية ، الى الشعوب والامم الاسلامية في آسيا وافريقيا واوروبا ، لعقد المؤتمر الاسلامي الكبير المسبوق الوعد به قبل اشهر، وذلك في موسم الحج ١٣٤٤ (١٩٢٦) لبحث الامور المتعلقة بالحجاز مما يهم امر المسلمين .

ونزيد الامر توضيحا فنقول انه لما كانت الحرب دائرة بين الفريقين ، اعلن الامام عبد العزيز الى العالم الاسلامي مفاد ما جاء في المنشور ، فكان مسلمو الهند اشد مسلمي العالم قبولا واستجابة له ، وجعلوا يؤيدون الامام ويرجون له الظفر . ولذلك نلمح من المنشور ان الامام قصد ان يوجه في المنشور شكرا لاهل الهند خاصة على الموقف المساند ببث الدعوة له في ارجاء العالم والحرب قائمة .

ومن المفيد على الجملة ان نصف الاوضاع في العالم العربي والعالم الاسلامي في ذلك العهد بغاية الايجاز :

اما الجزيرة : فبعد استيلاء الامام عبد العزيز على الحجاز ، جعلت فورا تأخذ بالمسالك الصحيحة التي تتجه بها الى الكيان السعودي الموفق الذي نرى ثمراته المباركة اليوم ، وبه يغتبط كل عربي ومسلم ، وهذا من الخير المنشود للامة العربية . رحم الله الامامين عبد العزيز وفيصلا ، ومكن في ارض العرب والمسلمين للامام خالد واخذ بيده الى تنفيذ مخططات المملكة .

اما اليمن : فكانت في حكم ال حميد الدين الائمة ، والامام يحي تراه يتخوف على استقلاله تارة من ايطاليا وطورا من بريطانيا وثالثة من كلتيهما ، وهو في سيره نحو حضارة العصر ، الى الانكماش اقرب .

اما العراق : فتحت الانتداب البريطاني يجتازه مراحل مقمطا بالمعاهدات مع بريطانيا وكل معاهدة اسوأ من الاخرى . وعليه فيصل بن الحسين ملكا منذ ١٩٢١ . ولكن في هذه السنة ١٩٢٦ انتهت مشكلة الموصل بين بريطانيا وتركيا لمصلحة العراق اذ آل اليه معظم مساحة المنطقة المختلف عليها .

واما فلسطين : فمقودة بخزائم السلاح البريطاني الى المسلخ . والعالم العربي هاجع عن فلسطين . والى اخر ١٩٢٦ لم يكن قد دخل فلسطين من اليهود الا ٨٩ الفا . كان الحاج امين له ٤ سنوات في الافتاء ورياسة المجلس الاسلامي الاعلى ، كانت ثورة سوريا وجبل العرب سنة ١٩٢٦ خطرا جديدا على كلا الانكليز واليهود معا . زيادة العرب في المواليد الزيادة الطبيعية اكثر من مجموع الهجرة اليهودية .

واما الاردن ، او المملكة الاردنية الهاشمية : وعليه الامير الملك عبد الله بن الحسين ، فيعيش عربيا ما امكن وعليه انتداب باسط جناحيه على الضفتين .

واما سوريا ولبنان : فقد كانت فرنسا جعلت من سوريا خمس دول وفي خريف ١٩٢٥ ضربت فرنسا دمشق بالمدافع وهدمت من احيائها القديمة البيوت والمنازل وفي سوريا جيش فرنسي استعماري بلغ عدده ١٥٠ الفا .

واما مصر : فقد كانت في عراكها مع الانكليز ترتع في زعامة سعد زغلول .

واما ليبيا (وقبلا طرابلس وبرقة) : ففي جهاد مر مع موسوليني الطامع في انشاء امبراطورية رومانية مستأنفة ويملأ البلاد بملايين الطليان المستعمرين للارض التي تعطى لهم مجانا على حساب اهل البلاد .

واما الشمال الافريقي كله : من تونس والجزائر والمغرب ، فالاستعمار الفرنسي كان يحول بين هذه المواطن العزيزة الغالية علينا ، والمشرق ، الا ما يقع بحكم الضرورة كالحج مثلا ، او اذا تيسر ان نظفر بزعيم مغربي ، عربي مسلم مجاهد مصلح جوالة رحالة في الارض الاسلامية كعبد العزيز الثعالبي ، فيقع لنا منه غنيمة عظيمة ! وانما كانت مصر ابدا ، حرسها الله ، صلة وصل بين مشارقنا ومغاربنا .

واما الخليج العربي : بدوله اليوم ودويلاته واماراته، وسع الله عليه ، فلم يكن قبل نصف قرن ، الا ما كان قبل قرن ، يعيش على معاهدات قديمة مع بريطانيا هي اضاحيك ومهازل . وقد طويت اليوم تلك البسط كلها والخليج اليوم اغلى رقعة عربية وسنة ١٩٢٥ لم يكن ليقع حتى في الحلم ان بعد ٢٠ سنة سيكون هناك منظمة اسمها « جامعة الدول العربية » .

شيء عن الوفود الرسمية : اما وفود الدول الاسلامية فقد كان كل منها يدور في حيز له ينظر من خلاله الى جميع القضايا المطروحة . فمصر كان يرأس وفدها الشيخ الظواهري وهو من رجال الملك فؤاد ، والملك فؤاد بعد ان صنع زعيم الترك ما صنع بالخلافة قبل سنتين بات يشرئب الى ما زين له من امل كبير من الوصول الى الخلافة . والظواهري من السنته في مصر وفي مؤتمرات بحث شؤون الخلافة في مصر ، وانتهى كل ذلك الى لا شيء . وظن الملك فؤاد لعل في مؤتمر مكة مخابىءتفاجئه ، فارسل الظواهري الشيخ المتعن الآلة ، الهيب المنظر ، الواسع الوجه ، الكبير العمامة ، البارع في الحديث والحوار ، الساكت الصامت ، الطالع المفاجيء .

اما وفد تركيا برياسة اديب ثروت المحنك ، ففي جيبه وصدره وذهنه تعليمات مصطفى كمال ، وبعد الغاء الخلافة راح مصطفى كمال ، او كما لقبوه فيما بعد اتاتورك (ابا الاتراك) يتهيأ لخطوة ثانية : احلال الحروف اللاتينية محل العربية واقتباس القوانين الاوروبية ، او « التمغرب » ومدابرة الشرق والثقافة العربية . كان اديب ثروت في المؤتمر روح هذا كله طردا وعكسا ، ولكنه في آدابه الشخصية رجل مهذب .

واما العراق في المؤتمر ، وفيصل بن الحسين في العراق ، فقد كان الحيز العراقي لبابه قضية بني هاشم في الوضع الجديد .

واما وفد الامام يحي ، فلم يكن له خطب ولا حناجر ، بل متمنطق « بالخناجر » ، وله عيون تنزلق الى اي زاوية ولعل شعاره في الظاهر : السلام عليكم وعليكم السلام ، وكفى ولم تبرز لايران او لافغانستان شعارات متميزة بل مراقبة عن كثب وبعناية تامة .

اما الدول الاوروبية ذات العلاقة بالعالم الاسلامي فقد كانت في الظاهر مكتفية بمراقبة المؤتمر ومقرراته ، وشغل بالها الى حد امر الخلافة . بقي اليهود والصهاينة، فانهم باتوا صرعى القلق والخوف من عدة وجوه : لان المؤتمر والحج ، سبيلان الى اطلاع العالم الاسلامي على ما هو واقع في فلسطين من سياسة « التهويد » ، وكانت سنة ١٩٢٦ وقت انعقاد المؤتمر ، تتم بها سنة على مجيء المندوب السامي فيلدمارشال بلومر ، خلفا لهربرت صموئيل اليهودي الصهيوني الذي مر ذكره معنا الى الان في هذه الفصول غير مرة ، وقد نعود اليه . وبلومر هذا انما آثرته دولته ان يكون عسكريا لان الثورة السورية كانت تندلع السنتها في انحاء سوريا ، ودخلت اجزاء جنوبية من لبنان القريب من المستعمرات اليهودية . وعلينا ان نلاحظ في هذا الموطن ، ان في سنة ١٩٢٠ لما آثرت لندن اول مندوب سام ان يكون يهوديا صهيونيا ، مدنيا لا عسكريا ، وسوريا تتكور في سمائها النذر الدكناء بين فيصل بن الحسين وفرنسا ، وكل شيء يدل على الصدام الحربي ، بينهما ولا مناص ، انما آثرت لندن ذلك لعلمها المؤكد ان الصدام الفرنسي العربي في سوريا ستكون الغلبة فيه لفرنسا ، ولا يقوى العرب على مقاومة تذكر ، اما في سنة ١٩٢٥ فسوريا الان غيرها قبل خمس سنين ، والثائر الاول هو جبل العرب ، وهذا الجبل صناعته القتال وايقاد الثورات على الاجنبي ، وعرب ١٩٢٥ غير عرب ١٩٢٠ في سوريا وفلسطين والاردن والعراق ، لذلك اختارت هذه المرة رجلا عسكريا ومن رتبة اعلى ما يمكن ليقف بتدابير عسكرية كافية على حدود فلسطين الشمالية يحمي فلسطين من احتمال ان الثوار يعبثون بشمال فلسطين .

اما الوفود التي تمثل الامم والشعوب الاسلامية ففي طليعتها وفد الهند وهو في الواقع ثلاثة وفود : « وفد لجنة الخلافة » (٢) على راسه اربعة من افذاذ الرجال وهؤلاء الاربعة « اخوان علي » كما كانت تذكرهم الصحف العالمية بهذا التعبير ، شوكت علي واخوه محمد علي ، وشعيب قرشي (هو صهر مولانا محمد علي) وهو فريد في طول قامته ، وبروز رجوليته ، وامتلاء حوضه بضروب الوطنية الهندية والاسلامية ، وسمو الاخلاق وبعد الرؤية والفروسية اللبقة . وبعد الحرب الثانية كان شعيب قرشي سفير باكستان في العراق لمدة مديدة . والشيخ سليمان البذوي العلامة الفقيه الواسع العباب . والوفد الثاني من وفود الهند الى المؤتمر « وفد اهل الحديث » وهم سلفيون ويعرف عنهم مساندة الملك الامام عبد العزيز لانهم من انصار الدعوة الوهابية في الهند . والوفد الثالث هو « وفد علماء الهند » . وقد يلاحظ القارىء لماذا رمت الهند الى المؤتمر بهذه الوفود الثلاثة ؟ والجواب ان اخواننا اهل الهند المسلمين هم اعظم مجموع اسلامي تجمعه جغرافية الهند في الارض . وهم عندهم تيارات اسلامية عديدة ثم ان العالم الاسلامي كان يجتاز مخاضا شديدا . فتركيا بقيادة مصطفى كمال اخذت بعد ظفرها باليونان وصلح لوزان ١٩٢٣ وتصفية ذيول قضاياها في قسمها الاوربي ومن ذلك تبادل السكان بين الرعايا اليونان والترك ، اخذت بسياستها العلمانية بعد الغاء الخلافة ، وهذا مع ثورة عبد الكريم الخطابي ، الثائر المنصور في الريف ، خمس سنين ، ثم ثورة سوريا ١٩٢٥ ، والتبدل في الجزيرة من صيرورة الحجاز الى مصيره السعودي ، كل هذا جعل العالم الاسلامي مليئا بالهزاهز ، ولذلك كانت هذه الوفود الثلاثة من الهند . واكتفي بهذا فيما يتعلق بالوفود (٣) ، ما عدا فلسطين .

اما وفد فلسطين : فقد كان مؤلفا من ثلاثة ، من الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى وزعيم فلسطين المطاع الملبي ، والعلامة الفقيه المصلح الشيخ اسماعيل الحافظ (والد الرئيس الاستاذ امين الحافظ ، وكان في زمن العثمانيين يشغل عضوية مجلس التدقيقات الشرعية في الاستانة) وكاتب هذه السطور . والذي علي ان اضعه امام القارىء الكريم من جهة هذا الوفد اوجزه ايجازا :

اولا : كانت فلسطين قد دخلها الى سنة ١٩٢٦ نحو من تسعين الف يهودي ، وبدأت النزعات الصهيونية الخبيثة تستنسر وتحدد انيابها . ولم يكن قد مضى على الحاج امين في رياسة المجلس اكثر من اربع سنين ، وكان مشروع عمارة الحرم الشريف في ابان انشائه ، والعالم الاسلامي يزداد اطلاعا على سير المشروع وخطورته ، كما يطلع على حركات التهويد المنظمة ، المحمية من الحراب البريطانية ، والمستوطنات الصهيونية فيها مدخرات السلاح

---

(٢) اصل هذا كله انه لما وضعت الحرب العامة الاولى اوزارها وصار « الحلفاء » المنتصرون يتهياون لتقسيم تركيا ، هبت الهند المسلمة تدافع عن سلامة تركيا وهي بهذا كانها تدافع عن الخلافة فتالف وفد اسلامي كبير على راسه مولانا شوكت علي ومولانا محمد علي ذهب الى لندن من اجل هذه الغاية . وبقيت لجنة الخلافة قائمة وحزبها قائما وله نفوذ عظيم في الهند .

(٣) اما وفود شمال افريقيا فكانوا افرادا وهم من الطراز الاول ووصلوا الى مكة بشق الانفس وكانوا من انشط العاملين والان ذهبت ايام فرنسا وارهاقها .

من الحكومة بحجة الدفاع عن النفس .

ثانيا : كان يرجو العرب جميعا ان تنتصر الثورة السورية انتصارا باهرا يؤدي الى نيل سوريا حقها من الاستقلال بحد السيف ، فاذا توفرت السلامة لسورية ، توفرت بالتالي لفلسطين . ولذلك جاء في مذكرات الكولونيل كيش (٤) رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية انه لما وصل الثوار الى نواحي مرجعيون وكوكبا والمطلة ، قررت الوكالة اليهودية ان تظهر المستوطنات الصهيونية للثوار اذا دخلوها موقتا ، او اقتربوا منها محاذين،المحاسنة وتقديم الطعام والماء والاسعافات الطبية . وفي الوقت نفسه طلبت الوكالة من الفيلدمارشال بلومر ان يضع قوة عسكرية على الحدود . والفت الوكالة بواسطة احدى مؤسساتها الطبية ، وحدة اسعاف طبية جعلتها للقيام بهذه الواجبات حين الضرورة في الشمال .

ثالثا : الثورة السورية علقت آمالا كبيرة على الملك الامام عبد العزيز من اول الامر ، من ان تجد في حوزته المنيعة سندا ومعينا . وصارت تكثر الصلة به عن طريق كبار رجالات الثورة وخاصة الرئيس شكري القوتلي .

رابعا : فلما عزم السيد الحسيني على شهود هذا المؤتمر وضع نصب عينيه ماذا يستطيع ان يقوم به من عمل عن طريق المؤتمر يكون من ورائه الخير للثورة ، فراى انه حري بصوت العالم الاسلامي الممثل في المؤتمر لا ان يكتفي بان يتخذ قرارا يستنكر فيه قصف دمشق بالمدافع ٤٨ ساعة في خريف ١٩٢٥ والفظائع التي يرتكبها الجيش الفرنسي في سوريا من تقتيل الابرياء ونسف القرى والمزارع والدساكر بالطيارات ، واحراق المزروعات وغير ذلك من ابشع المنكرات ، وخاصة في جبل العرب ، بل عليه ان يضع قرارا يسنده الشرع الشريف الا يقاتل المسلم المسلم تحت اي لواء وفوق اي ارض . وفي الجيش الفرنسي في سوريا وقتها كثير من المسلمين الافارقة .

الصحافة الاسلامية والسورية واللبنانية والمصرية والاجنبية : كان التمثيل الصحفي في المؤتمر محدودا . فالصحف الاسلامية الهندية كان لها ممثلون ، وكان من سوريا ولبنان عدد من ارباب الصحف ، وكان من لبنان صديقنا المناضل خيري الكعكي صاحب « الشرق » وغيره. وكان لجريدة « التيمس » اللندنية ممثل خاص الاستاذ علي شاه الافغاني على ما اذكر وتلاقينا بعد المؤتمر في زيارة من زياراته لفلسطين وهو علي الثقافة واسع الاطلاع على مجاري السياسة الاسلامية والاوروبية .

ولكني سأتناول في نهاية هذا المطاف بصورة خاصة ثلاثة من المسلمين الذين التحموا بروح المؤتمر التحاما اسلاميا ، ويبقى كلامي هذا محتاجا الى الربط بين الثلاثة والحاج محمد امين الحسيني في الحلبة الاسلامية المقدسة . هؤلاء الثلاثة هم : عبد الرحمن الكواكبي (سجل ام القرى) وامين الرافعي صاحب جريدة « الاخبار » وقد كان يمثل صحافة مصر بعبقريته المدهشة ومولانا محمد علي الهندي المؤمن ورايناه ساعة وصول النبأ الينا ونحن في صلاة المغرب حول الكعبة عن استسلام الامير عبد الكريم الخطابي في الريف يقف ويبتهل الى الله بعد الصلاة ويسأله جمع شتات المسلمين ، وهو يبكي كالطفل حتى اخضلت لحيته الجميلة الصغيرة . فجاءه السيد الحسيني مؤاسيا مشاركا .

لجنة المقترحات : جرى المؤتمر في طريقة نقاشه وطرح القضايا والدفاع عنها ، وانحاء المقررات ، على الاساليب التي طبقتها الوفود الهندية الثلاثة ، الكثيرة المراس لفن المؤتمرات في شبه القارة الهندية . فلجنة المقترحات هذه تمثل جميع الوفود بعضو او عضوين لكل وفد ، والوفود لا اقل من ٣٥ وفدا من القاصية والدانية . ولجنة المقترحات وظيفتها ان تتلقى اي اقتراح من اي عضو، وهي تنظر في هذا الاقتراح ، فان اقرته اجازته الى المؤتمر ، وان لم تقره فلا يجوز طرحه بعد ذلك امام المؤتمر، والغاية من هذا نخل المقترحات لتكون مصفاة من الاشياء التي يرى من المصلحة الاسلامية العامة اخراجها من موضوعات المؤتمر ، وحرصا على الوقت من ان يذهب بعضه على غير جدوى . وكان عدد اعضاء لجنة المقترحات لا اقل من خمسين رجلا عضوا ، وتعقد اللجنة اجتماعاتها بعد ظهر كل يوم ما عدا الجمعة ، وعلى هذا الفرار سارت امور المؤتمر بليونة وانسجام حتى النهاية ولله الحمد .

قرار الا يقاتل المسلم المسلم : نوقش الاقتراح بحماسة ايمانية كاملة في لجنة المقترحات ، ولما طرح امام المؤتمر ، في اليوم الثاني ودافع عنه السيد الحسيني دارت حوله ابحاث جمة اصولية شرعية فقهية لا لتأييده ونشره فحسب ، بل للعمل على جعله جزءا من عقيدة المسلم في مطلق الاحوال . ولما كان الفرض القريب من هذا القرار ان يبلغ الجنود المسلمين في الجيش الفرنسي المقاتل للثورة ومجاهديها الابطال ، في سوريا ، فقد طبع ووزع بطرق جيدة على الجنود المسلمين ، ومن التوفيق ان كان له مفعول حسن من حسن الاستجابة له وتنفيذ معناه وفحواه بطرق مختلفة ، منها الفرار من الجيش الفرنسي والالتجاء الى بيوت ومعاهد وجمعيات رتبت الامور معها سلفا . ولا حاجة هنا الى التفصيل وانما اذكر حادثة من داخل اراضي الملك الامام عبد العزيز . فقد ارسلني

(٤)هو بالاصل ضابط انكليزي خدم في الحرب العامة الاولى وفي العراق خاصة ، وبعد الحرب كان من المشتركين في وضع صيغ صك الانتداب وتقديم المشورة للرئيس الدكتور ولسون . ثم جيء به الى فلسطين وصار بالتالي رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية في القدس وقتل بلغم انفجر به في تونس ١٩٤٣ . كتابه Palestine Diary طبع لندن ١٩٣٨ واصل اسم « كيش » « قيس » بالعربية وورد في التوراة مرتين او ثلاثا .

سماحة الحاج محمد امين الحسيني بصفته رئيس «اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سوريا» ، وقد تقدم خبر هذه اللجنة في فصل سابق ، الى سلطان باشا الاطرش والامير عادل ارسلان المرابطين بالمجاهدين هناك لشؤون تتعلق بالثورة وكان هذا خريف ١٩٢٦ ، وبينما انا جالس امام خيمة الامير عادل والحديث حار بيننا ، فاذا بعدد من الرجال الاشداء يجيئون اليه في مشاكل لهم ، فلما انجز قضيتهم وانصرفوا ، لفت نظري ما قرات في وجوههم من امارات البطولة والفروسية التي لا تخفى فسألته فقال لي ان هؤلاء من اخواننا السنغاليين الذين فروا من الجيش الفرنسي بعد توزيع المنشور الصادر من مؤتمر مكة ، فاهتززت اكبارا واعتزازا ، فاخذ يثني على صفاتهم ويطري حسن شمائلهم . واذ لاحظ شدة اعجابي بهم ارسل الى اثنين منهم ، اي اثنين على غير يقين ، فجاءا فاعلمهما عميق شكري لهما ولاخوانهم الذين فروا من الجيش الفرنسي غداة اطلاعهم على المنشور ، فكررت ثنائي على حميتهم الاسلامية وقبلتهما بحرارة . فقال الامير عادل انهم اخف من الطيور ، وارشق من النسور والصقور ، ثم نادى الاثنين هذين بكل اخوة : يريد صديقنا وزائرنا فلان الفلاني (يقصدني) من قبل سماحة السيد محمد امين الحسيني ان يرى شيئا من رشاقتكم في الوثب والتسلق ، وكان بقرب الخيمة عدة نخلات باسقات ، واذا بهما في لحظات يتسلق كل منهما نخلة بلا حبل ولا انشوطة حبل ، ويبلغان اعلى النخلتين في دقائق ، وراعني من براعتهما في هذا انهما وهما يتسلقان بسرعة عموديا جذع النخلة ، يبدوان كانهما يسيران افقيا على الارض فاستأذنت من الامير عادل ان اصورهما وهما يطلان من اعلى النخلتين كما يطل العصفور من عشه فصورتهما ولما نزلا غمرتهما ضما وتقبيلا وشكرا وقلت لهما اني بعد رجوعي من صحراء النبك الى القدس سارسل الى الامير عادل عدة نسخ من الصور الملتقطة لهما وهما في اعلى النخلتين . وقد تم هذا . ثم اني كنت محتفظا (بالبوم) كبير فيه صور من مؤتمر مكة وصور اصدقاء واجتماعات واماكن مقدسة ، للذكرى ، ثم اضفت الى هذا « الالبوم » صور الاخوان في النبك ، ولكن ويا للاسف ان هذا كله ذهب مع مكتبتي وبيتي الى اليهود سنة ١٩٤٨ .

وعند رجوعي الى بيت المقدس من صحراء النبك اعلمت السيد الحسيني كل هذا ، وكل ما رايت في النبك، فحمد الله حمدا جزيلا على التوفيق وجني الثمرات الطيبة من قرار « الا يقاتل المسلم المسلم » .

مقررات المؤتمر : لا حاجة بي اليوم سنة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م ان اذكر مقررات هذا المؤتمر العالمي الكبير بعد الحرب الاولى ، سواء ما يتعلق بالحجاز ام بالحج ام المصالح الاسلامية الاخرى ، فقد كانت وفق تلك المصالح ، ولا ريب شعرة ، فالملك الامام عبد العزيز كان رحمه الله مراعيا لهذه المصالح جاريا في احكامه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وها قد انطوى عهد بعد عهد واننا لنرى بلاد الحرمين الشريفين ينعمان باجل خدمة في ظل الدولة العربية السعودية ، ايدها الله ومكن لها . ثم اني لا املك اليوم صورة هذه المقررات لادرجها هنا من ناحية تاريخية لا اكثر .

التيار الاسلامي ويمثله مولانا محمد علي والتيار المناهض له يمثله اديب ثروت : عند افتتاح المؤتمر ، قبل موسم الحج بايام ، قام مولانا محمد علي في المؤتمر واقترح تأجيل افتتاح المؤتمر الى ما بعد عرفات ، حتى يكون الوفد التركي قد وصل فيشترك في الافتتاح ، ودافع مولانامحمد علي عن اقتراحه جهده ، غير ان الوفود لم تأخذ بهذه الفكرة مع ثنائها على مولانا محمد علي في الحمل الاسلامي له على هذا . فوصل الوفد التركي متأخرا بعد افتتاح المؤتمر .

وكانت ثورة الامير عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي شاغلة بال العالم الاسلامي منذ هبوب رياحها المنصورة سنة ١٩٢١ لما ظفر عبد الكريم بجيش سلفستر البالغ عشرين الفا وفتكه بااثني عشر الفا من هذا الجيش (٥) . وهذا الظفر الاسلامي في اقصى المغرب مع ظفر مصطفى كمال باليونان في الاناضول ، جعل العالم الاسلامي يشعر بعد الحرب العالمية الاولى انه حي وله نصيبه من الحضارة والكرة الارضية على كل حال .

وفي احدى جلسات لجنة المقترحات ، نهض محمد علي ، واديب ثروت لا يبعد عنه سوى بضعة امتار ، واقترح انه كما قرر هذا المؤتمر الا يقاتل المسلم المسلم ، فعليه ان يقرر دعوة المسلمين في المشارق والمغارب لنصرة الامير المجاهد في سبيل الله والوطن والكرامة ، عبد الكريم بالمال ثم المال ثم المال ، وان ترسل الاعانات الى الامير عمرطوسون في مصر وهو يتولى ارسالها الى الامير عبد الكريم . فهللت وكبرت اللجنة بالاجماع لهذا الاقتراح الا اديب ثروت ،فلما جلس مولانا محمد علي وقف اديب ثروت وقال اني باسم حكومتي اعارض في هذا الاقتراح فاننا لم نحضر لنبحث ونقرر مثل هذه الامور وجلس . فنهض مولانا محمد علي فورا واجابه :

اخي اديب ثروت ممثل تركيا في هذا المؤتمر (٦) . لما افتتح المؤتمر ، وكان وفدكم لم يصل بعد ، وقفت واقترحت تأجيل يوم الافتتاح الى ان يصل وفدكم فنعتز بحضوره لانه يمثل دولة اسلامية . فلم يوافق المؤتمر على اقتراحي، وافتتح ولم تحضروا افتتاحه ، اذ كان قصدي ان

---

(٥) باعتراف موسوعة تاريخ العالم للنجر ص ٩٨١

(٦) كنت اترجم للوفود الهندية من الانكليزية الى العربية جميع خطبهم الارتجالية كل مدة المؤتمر وفي مسالة اديب ثروت فهو كان يتكلم بالتركية وانا لا اعرف التركية وانما غيري ينقله الى الانكليزية ولما رد عليه مولانا محمد علي بالانكليزية طبعا كنت انقل كلامه الى العربية وغيري ينقله الى التركية .

وليكم رياسة هذا المؤتمر . والان ، اراكم تعترضون باسم حكومتكم على اقتراحي دعوة المسلمين لنصرة عبد الكريم بالمال . فاسمعوا يا اخي اديب ثروت : ما الفرق بين دعوتنا هذه من اجل عبد الكريم وهو يقاتل الاسبان وبين دعوتنا لكم لما كنتم تقاتلون اليونان ؟ اني آسف ان اسمع اعتراضك هذا في مكة المكرمة . وارجو ان توقن ان العالم الاسلامي سائر طريقه الى التحرر على كل حال » .

فاكبرت هيأة اللجنة كلام محمد علي وروحه وما عاد اديب ثروت ينبس ببنت شفة .

الملك الامام عبد العزيز والسيد الحسيني رحمهما الله : حظي وفد فلسطين بالتشرف بين يدي الملك عبد العزيز مرات عديدة في ديوانه العالي ، اذ كانت اقامتنا في مكة نحو ثلاثين يوما ما عدا ايام الطريق . وكنا ضيوفا على جلالته ، وانزلنا في « دار بناجه » المطلة على الحرم الشريف . واما السيد الحسيني فانه تم له حظوة الاختلاء بجلالة الملك الامام مرات ، تارة بلفتة من جلالته ، وطورا بالتماس من السيد الحسيني ، وذلك لبحث شؤون قضيتين : فلسطين والثورة السورية ، ولم يحضر بينهما هذه الخلوات غير الشيخ يوسف ياسين امين سر الملك الامام وصديق الحسيني اذ هما رفيقا طلب في مصر قبل الحرب الاولى .

عبد الرحمن الكواكبي صاحب سجل « ام القرى » . مولانا محمد علي . امين الرافعي رحمهم الله جميعا .

اما السيد عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتاب « سجل ام القرى » الصادر في مصر اول هذا القرن فقد كانت روحه ترفرف فوق المؤتمر ، بعد مفارقته الدنيا باربع وعشرين سنة ، واي مسلم حضر المؤتمر ولا يتصور الكواكبي ماثلا امامه بخياله المنير يصغي الى مناقشات المؤتمر عن العالم الاسلامي الذي وصف الكواكبي امراضه قبل اليوم بنحو ٨٠ عاما هجريا وصفا ربما لا يزال حتى اليوم صحيحا في عدة معان . غير ان هدف الكواكبي غير هدف هذا المؤتمر الذي دعا اليه الملك الامام . ولا مجال هنا للمقارنة .

اما مولانا محمد علي ، وعلى عينيه نظارات « هلالية » الشكل رمزا الى لجنة الخلافة والهلال العثماني ، فلم ار في حياتي مسلما بلغ مبلغه من اذابة وجوده في سبيل الاسلام، وبعد لقائنا معه في الحجاز ، بقيت الصلات مستمرة على يد السيد الحسيني في القدس ، الى ان توفي مولانا محمد علي في لندن ١٩٣١ في اثناء تمثيله مسلمي الهند في مؤتمر « الدائرة المستديرة » فاقترح سماحة المفتي الاكبر الحاج محمد امين الحسيني ان يؤتى بجثمانه ويدفن بجوار المسجد الاقصى ، ونفذ هذا الاقتراح فورا برقيا . ويوم دفنه ، بعد تأبينه في ساحة الحرم الشريف المكتظ بالوف الخلق التأبين العظيم ، كان يوما فريدا في تاريخ فلسطين (٧) .

وجعل الله شوقي في اعلى عليين ، اذ مما قال في رثائه :

يا (قدس) هيء من رياضك ربوة	لنزيل تربك ، واحتفل بلقائه
هو من سيوف الله جل جلاله	او من سيوف الهند عند قضائه
فتح النبي لـه مناخ (براقه)	ومعارج التشريف من اسرائه
بطل حقوق الشرق من احماله	وقضية الاسلام من اعبائه

حتى قال شوقي اغنية التاريخ ونشيد الحرم :

افتنى بدفنك عند سيدة القرى	مفت اراد الله في افتائه

اما امين الرافعي صاحب جريدة « الاخبار » المصرية التي كانت مدوية في الشرق كله لا في مصر فقط ، فقد كنت بدات اعرفه عن كثب في القاهرة ١٩٢٥ اذ زرته واهديته نسخة من « حاضر العالم الاسلامي » ثم في السنة التالية التقينا في مؤتمر مكة .

كان امين الرافعي ، رحمه الله ، في المؤتمر لا يمثل صحيفته « الاخبار »وكفى ، بل كان قوة فكرية «راديومية» يملأ اشعاعها جوانب المؤتمر . اخلاص انقى من الذهب المصفى . وجه منير باسم ضاحك ببشرى الايمان . كان قلعة حصينة في مصر . رأيه الذي يسجله وينشره كانه يتلقاه في قفة من الاعالي . صموده كالصخر ، عقل اضوا من النجم . عزم امضى من السيف ، كانه مرسل الى مصر من القرن الاول . ما التفت اليه مرة في اثناء انعقاد جلسات المؤتمر الا رأيته شارعا قلمه ، واخاله بيده كالرمح بيد الفارس المجاهد المطاعن في الميدان ، منصبا على الاستماع والاستيعاب بكل عناية . لا اظن وقف خطيب من اي وفد من جملة ٣٥ وفدا تقريبا ، على منبر المؤتمر ، لم يصغ اليه هذا الملاك الصامت امين الرافعي . رسائله الى جريدته « الاخبار » من مكة في غاية النفاسة ، وجاء الرافعي من مصر ليشهد المؤتمر ويحج .

ولنحج الى ابي علي شوقي لنسمع بعض ابياته في رثاء امين الرافعي المتوفي ١٩٢٨ بعد المؤتمر بنحو سنتين رحمهما الله :

اخذ الموت من يد الحق سيفا	خالدي الفرار عضبا صقيلا
من سيوف الجهاد فولاذه	الحق ، فهل كان قينه جبريلا
لمسته يد السماء فكان	البرق والرعد خفقة وصليلا
وإباء الرجال امضى من السيف على كف فارس مسلولا	

السيد الحسيني ومولانا محمد علي : ونحن في صلاة المغرب حول الكعبة الشريفة وصل نبأ استسلام الامير محمد عبد الكريم الى الجيش الفرنسي المؤلف من (١٥٠) الفا ونفته فرنسا الى جزائر رينيون حيث بقي في الاسر هو واسرته ٢٠ سنة . حول الكعبة كان يعقد الحسيني ومولانا محمد علي جلساتهما الاخوية وخلواتهما لبحث

(٧) كان يقصد السيد الحسيني رضي الله عنه من دفن العظماء المسلمين بجوار الحرم القدسي الشريف تمتين الروابط الاسلامية بين فلسطين والعالم الاسلامي . والذين دفنوا بجوار الحرم الملك حسين بن علي ، ومولانا محمد علي الهندي ، وموسى كاظم باشا الحسيني شيخ القضية ، وابنه الشهيد المختار والبطل المغوار ابو موسى عبد القادر الحسيني رحمهم الله . وهناك وقائع روائع في سيرة مولانا محمد علي تتعلق بفلسطين لا مجال لها هنا .

الكتاب

●

يا ضياء الروح ، يا نور الهدى — انت شمس في الدنى ليست تغيب
ووعاء العلم ، والعلم هدى — لمسير المرء في الدرب العصيب
وسفير الفكر ، والفكر صدى — لخيال كان من نسج الاديب
ورسول الفن ، والفن رؤى — ابدعتها يد رسام غريب
لحسان الشعر سحر باهر — صيغ من انغام حب ونسيب
وللحن الادب الصافي ، كما — لغناء الطير ، في القلب دبيب
فاذا من عبقر حورية — همست في اذني همس الحبيب
مطرب الكون باصفى نغم — شاعر غنى غناء العندليب
ومنار الارض هذا كاتب — عبقري الحس والراي المصيب
بيد الاثنين مشعال الهدى — ليضيء الكون فردوسا رحيب

ان يك الحبر اخا ليل ففي — طيه اضواء خلاق اريب
فاذا الدنيا سماء بدرها — نور حرف ، يا له نورا عجيب
دولة الطرس لابقى دولة — وللجند الحرف مجد لا يشيب
فلرب الفكر ان مات اضفروا — من ورود الخلد اكليلا قشيب
ان يغب نجم عن الارض فما — لنجوم الكتب يوما من مغيب

عبد الله صالح

القضايا والشؤون الاسلامية . السيد الحسيني دعا صديقه مولانا محمد علي لزيارة فلسطين فقبل الدعوة شاكرا ولكنه لم يستطع تنفيذها قبل ١٩٣٠ فجاء فلسطين وكان له يوم استقبال حافل كيوم نقل جثمانه من لندن الى القدس بعد مدة . رحمهما الله .

السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار : دعي السيد رشيد ، العلامة الفقيه المفسر المصلح ، لحضور المؤتمر ، دعوة خاصة ، رعاية لمكانته العلمية وعلو منزلته في العالم العربي والعالم الاسلامي . وكان قوة علمية في المؤتمر .

الشيخ عبد الله بن بليهد : سبق ذكره في هذا الفصل . كنت اتمثل فيه ، وهو يدير مناقشات الحوار الفقهي الشرعي بين السائلين والهيئة السعودية العلمية الممثلة للرأي الرسمي ، في كل ليلة من الليالي ، قبل افتتاح المؤتمر ، رأسا عبقريا من رؤوس السلف الصالح .

الامير شكيب ارسلان : اختير بالاجماع امينا عاما للمؤتمر على ان يمكث في الحجاز من كل عام اربعة اشهر فلبى رغبة وارادة ، ولكنه اعتذر بسبب صحته وحر الحجاز . وقرر المؤتمر ان ينعقد كل سنتين مرة ولكنه لم ينعقد بعد ذلك قط . الكتاب الوحيد الذي صدر عن المؤتمر يتضمن مقرراته بالعربية كلها ، اصدرته لجنة الخلافة في الهند وكان هذا في مكتبتي وقد علم القارىء مصيرها سنة ١٩٤٨ .

راس المتن ـ لبنان — **عجاج نويهض**



بقلم عبد الحميد الانشاصي



كانت السماء مثقلة بسحب حجبت الشمس عن اجسام الناس فلم ينعموا بالدفء ، وعن الاشجار فلم تتلألأ اوراقها تحت اشعة الشمس ، وعن السطوح والطرق فلم يذب الثلج المتراكم عليها . ولكن ذلك كله لم يمنع الفضاء من ان ينتشر في كل مكان . كان فضاء مكتوما كأنه سر يخشى صاحبه البوح به . وقد صحب ذلك الفضاء المكتوم صمت غريب فيه اصفاء ووحشة . كانت الطبيعة صامتة ، ولكن بدا عليها انها تريد ان تفصح عن شيء .وكانت تصغي في هدوء ، ولكن لم يكن هناك شيء من الاصوات : لا تغريد طيور ولا لغط اناس . وكانت جوانب المدينة مهجورة . لم ير احد من الناس يسير على احدى الطرق ، كأن اهلها هجروها . لا شيء سوى السحب والثلج والصمت .

وفي ذلك اليوم لزم صبري بيته ولم يخرج منه كعادته لمزاولة عمله . شعر بشيء ثقيل يريد ان يخرج من راسه . شيء ينقر جمجمته في الحاح كما ينقر الصوص البيضة بمنقاره ليخرج منها الى الحياة . جلس الى طاولته ازاء مكتبته ، وبجانبه مدفأة « علاء الدين » ، وعلى الطاولة دفتر وقلم حبر جاف وقاموس وراديو يدوي كانت تنبعث منه اغان مطربة منخفضة شغلته عن التفكير فيما يعكر جو ذهنه . وبعد قليل تناول قلمه ، وراح يكتب خواطره .

خواطر : آه ! لقد شغلني عملي اليومي الرتيب عن مطالعة هذه الكتب التي امامي . كم تمنيت ان انقطع الى المطالعة فاقرأ ما احب ان اقراه منها واكتب ما تجود به علي قريحتي من الافكار . ولكن غلاء الحاجات ومتطلبات العيش ترغمني على السعي لكسب قوتي وقوت اسرتي العديدة الافراد ، لذلك لا مفر من الرضوخ للواقع والصبر حتى تنجلي هذه الازمة .

اصوات من الخارج : « مجنون ! غبي ! بليد ! » .

حوار داخلي :

صوت الانسانية : لا تكترث لهم . اصبر . امض في طريقك . انك على صواب . سوف تستريح في النهاية .

صبري : انني احتمل منهم كل ما يلحقني من اذى لانني اجد فيهم الانسانية . انهم اخوتي واخواتي في الانسانية . لذلك ابذل جهدي للمشاركة في اسعادهم وجلب الطمأنينة والهناء الى نفوسهم ، انني احبك ايتها الانسانية .

صوت الانسانية : هذا ما اشعر به . واؤكد لك ان حبنا لن يموت . ان حب الانسانية هو الحب الوحيد الذي لا يموت . ولكن هل لك ان تعرف الحب الحقيقي ؟ ما هو الحب الحقيقي ؟

صبري : الحب الحقيقي هو وميض من الرغبة ينبثق في داخل المحب فيضيئه ، ثم يشع خفية من جسمه فينير العالم من حوله .

خواطر : انني وحيد ، وليس في استطاعتي وحدي ان ابدد هذه الظلمات الدامسة من حولي . اريد اعوانا يساعدونني على هذه المهمة. اكاد اغرق . اكاد اموت من الضيق. اريد ان ارى جيلا جديدا يختلف كل الاختلاف عن الجيل الحالي ـ **جيلا** قويا بارادته وخلقه وثقافته .

اصوات من الخارج : « انك في حاجة الى اصلاح . اصلح نفسك اولا ثم اصلح الناس بعد ذلك . جاهل ! مغرور ! » .

حوار داخلي :

صوت الانسانية : لا تصغ اليهم يا عزيزي . ان الاهانات التي يلحقونها بك لا تعد اهانات لانها صادرة عن جهل .

صبري : انهم معذورون . ان المسيح حينما عذبه اعداؤه قال : «يا ابتاه اغفر لهم لانهم لا يعلمون » .

صوت الانسانية : لا شك انه نطق بالصواب . وما عليك انت الا ان تدعو الله ان يغفر لمن يضايقونك من الناس كما فعل المسيح .

صبري : انا كلما ضايقني الجهال اقول : « ربي اغفر لهم واجعلهم يعلمون » لان السكوت عن عدم علمهم لا يفيدهم . لا شيء يصلحهم سوى العلم بالحقائق .

صوت الانسانية : **هذا صحيح ، ولكن قل لي ، ما هو البغض ؟**

صوت الانسانية : **هذا صحيح ، ولكن قل لي ، ما هو البغض ؟**

صبري : **البغض مرض يعطل في النفس حاسة الشعور بالهناء .**

خواطر : آه ! انني لم احرم مطالعة الكتب فحسب بل حرمت ايضا السفر الى البلاد الجميلة وتأليف الروايات الطوال ، وسماع القطع الموسيقية التي احب ان اسمعها ، واشاهد اللوحات الفنية التي اتمنى ان اشاهدها . انني وحيد . اشعر بوحدة قاسية . ان الرجل الحزين لا يستطيع ان ينعش نفسه الذابلة . لا شيء يهدىء اعصابي سوى الهيام بك ايتها الانسانية الحبيبة . الهيام بك والمطالعة . ان المطالعة اكتساب خلاصة الخبرات الاجتماعية . والقارىء يكتسبها ويتغلب على جهله بلا جهد . ان الافكار المبثوثة في

الكتب شبيهة باقراص الدواء التي يستعملها المريض لتقوية جسمه والتغلب على مرضه . ولا يكتسب الانسان خبرة بجهده وكده الا اذا نزل الى معترك الحياة وعمل وصارع وقاوم .

اصوات من الخارج : « مسكين ! انه وحيد في هذا العالم . كيف يستطيع ان يعمل وان يأكل وينام ؟ كل شيء يعاكسه ، وكل شيء ضده. في الامس نطق بكلمات حكمية منطقية ودعا الى اصلاح معقول ، آراؤه الاجتماعية والسياسية صائبة . لماذا لا تعنى به الحكومة وتريحه من عمله البسيط الذي يضيع وقته ؟ انه ماض نحو هدفه . « براو » عليه ! »

حوار داخلي :

صوت الانسانية : هناك اشخاص كثيرون يؤازرونك ويقدرونك فلا تيأس . كن قويا ولا تشك احدا .

صبري : انني ما زلت قويا متشبثا بمبادئي . وانا اليوم اكثر تفاؤلا مني في الامس . اشعر بانشراح في صدري على اثر كلمة ثناء سمعتها من احد المارة في السوق . بتلك الكلمة البسيطة التي لا تكلف شيئا رفعني ذلك الشخص المجهول الى سماء السعادة والهناء . انا الان سعيد .

صوت الانسانية : وانا ايضا سعيدة لانك انت سعيد يا حبيبي. قل لي ، ما هي السعادة ؟

صبري : السعادة شعور في صاحبها بانه حقق رغبته الكبرى التي طفت على رغائب اخرى لم يتمكن من تحقيقها وليس شعورا بتحقيق جميع الرغائب فان تحقيقها محال .

صوت الانسانية : معقول . وما هو الشقاء ؟

صبري : الشقاء شعور في صاحبه بأنه لم يشارك غيره من الناس في اخذ نصيبه من الراحة النفسية .

خواطر : تراث ! تراث ! دائما يقولون : « يجب ان نتمسك بتراثنا لانه هو الذي يميزنا من غيرنا من الامم » . ولكن ليس كل ما ورثناه عن اجدادنا نافعا . منه النافع ومنه الضار . كما ان الاعشاب البرية لا بد من اقتلاعها لكي تتمكن المزروعات المفيدة من النمو والترعرع ، كذلك لا بد من استئصال العادات الضارة لكي نترك مجالا لما ورثناه من افكار وخصائص نافعة اصيلة لتندمج في شخصياتنا فتنظر الينا الامم في اعجاب واحترام .

اصوات من الخارج : « فلسفة كاذبة ! انك لا تفهم شيئا . من انت حتى تهدي الناس ؟ انت هناك في المجتمع وبحاجة الى من يرشدك ».



عبد الحميد الانشاصي

●

حوار داخلي :

صوت الانسانية : مالي اراك حزينا اليوم ؟

صبري : انهم يشتمونني شتموني اليوم بعد ان اثنوا علي في الامس . لذلك اشعر الان انني اهوي الى قعر هوة عميقة مظلمة بعد ان رفعت في الامس الى سماء السعادة والهناء . هكذا شأني : تارة اصعد وتارة اهبط . ولست ادري ماذا اصنع . اشعر في ارتفاعي وهبوطي انني شبيه بممثل وبان الناس من حولي كالمشاهدين لانني لا اجد احدا منهم يشاركني في ارتفاعي وهبوطي.

صوت الانسانية : انك لا ترد على الشتم . وهذا حسن .

صبري : انني لا ارد على الشتم لكي افهم الشاتمين ان السباب لم يؤثر في شيئا لانه تافه لا نفع فيه ، ولو رددت على الشتم لتوهم الشاتمون ان السباب هام لما له من تأثير .

صوت الانسانية : هذا صحيح .

صبري : لولا حبك يا حبيبي لانفجرت يأسا . ان الحب يعينني على السير نحو هدفي كما تساعد العجلات العربة على الانطلاق بسرعة . وهو يعينني على السمو بنفسي كما تساعد البكرة الرافعة على رفع الاثقال من الارض الى ظهر السيارة الشاحنة .

قال ديكارت : « انا افكر ، لذلك انا موجود » . ولكن هذا لا يكفي .

صوت الانسانية : ماذا تعني ؟

صبري : اعني ان التفكير وحده لا يكفي اذ كان ينبغي لديكارت ان يضيف كلمة اخرى ويقول : « انا افكر واحب ، لذلك انا موجود » .

صوت الانسانية : يسرني ان اسمع منك هذا الكلام ، ولكن اود ان اعلمك يا حبيبي انك لا ترتفع مرة وتهبط اخرى كلما سمعت كلمة ثناء او كلمة شتم من احد من الناس . ان المشاعر من حولك ترتفع مرة وتهبط اخرى. اما انت فاني اراك ثابتا كالصخر . وهذا ما يجعلني اعجب بك . انت ممتلىء بالامل . قل لي ، ما هو الامل في رأيك ؟

صبري : الامل تخطيط نفسي لما يعتزم المرء ان يقوم به في مستقبله. اما الرغبة التي لا يسعى الانسان الى تحقيقها فهي حلم نهاري وليس املا .

صوت الانسانية : هذا ما اراه انا ايضا . وما هو اليأس يا عزيزي ؟

صبري : اليأس هو اشتراك المرء مع الظروف في هزيمة نفسه .

خواطر : الصباح هو فترة تقف

فاصلا بين حوادث الماضي القريب وما سيحدث في المستقبل القريب ... في تلك الفترة ينسى الانسان الطموح امسه ويفكر في عمل شيء ليجعل مستقبله خيرا من ماضيه . اما المساء فهو فترة يتذكر فيها المرء ما مضى من حياته والاخطاء التي ارتكبها فيه . لذلك افضل الصباح على المساء . وانا افضل العمل على الراحة لان العمل وان كان يشغلني عن الذكريات الجميلة والتمتع بالمناظر الخلابة الا انه يبدع اشياء جديدة . اما الراحة فهي على العكس تعيد على ذهني الذكريات الجميلة وتفتح عيني على المناظر الخلابة ولكنها لا تخلق شيئا . غير ان الجمع بين العمل والراحة ضروري جدا مع العلم بان لذة الخلق لا تدانيها لذة الذكريات والمناظر الجميلة . انني اكره الشتاء لانه يذكرني بوجه الحياة الكئيب ، اما الربيع فهو يذكرني بوجه الحياة المبتسم ، والصيف يذكرني بالحنين الى الحرية .

اصوات من الخارج : « احسنت ! ان ما قلته اليوم يستحق كل الثناء انك زعيم . لا شك انك بطل عظيم » .

حوار داخلي :

صوت الانسانية : ما اجمل ابتسامتك يا حبيبي ! انك اليوم مرح وسعيد كما ارى . هذا ما اريده منك : ان تكون دائما مبتسما مرحا متفائلا .

صبري : لقد استطعت ان احول بغض الناس وشتمهم لي الى حب . لدي القدرة على ذلك . كما يحول المصنع الخرق التافهة الى ورق نقي وصقيل كذلك احول البغض السام الى حب مزهر وجميل . ان بضع كلمات ثناء سمعتها اليوم من شاب بسيط ساعدتني على ذلك .

صوت الانسانية : انك رجل بارع في تدبير امور نفسك بنفسك . وهذا ما يزيدني حبا لك واعجابا بك يا روحي .

صبري : انني لا اشعر الان بالوحدة في حياتي وان فارقني اصدقائي ومعارفي . لقد ابتعد عني اولا اصدقائي ، ثم ابتعد عني اقاربي لانني ادافع عن الحق في صراحة . ومع ذلك فقد صبرت وثبت لان حبك ايتها الانسانية العزيزة عزاني عن كل من فقدتهم من الاقارب والاصدقاء . انا لست وحيدا الان فانت معي .

صوت الانسانية : سأظل اغمرك بحبي وحناني مدى الحياة . ما دمت تحبني فانا ابادلك الحب ، وما دمت تلازمني فانا ملازمة لك . قل لي يا عزيزي ، ما هي الوحدة ؟

صبري : الوحدة محاولة من الانسان لخلق عالم يعيش فيه مستقلا .

صوت الانسانية : اما الحب ...

صبري : اما الحب فهو محاولة من المحب لخلق عالم يعيش فيه هو والحبيبة في سعادة وهناء .

صوت الانسانية : تماما ، كأنك تقرأ ما يجول في نفسي .

خواطر : انني اهيم بالجمال في كل شيء . في الطبيعة واللوحات الزيتية والقطع الموسيقية والاوصاف الادبية والافكار الفلسفية . ويعز علي ان ادع دقائق من عمري تمر دون ان اتمتع بالوان الجمال التي تهواها نفسي : ان الوان الجمال هذه خير غذاء لقلب من يتمتع بها . انها لا تعطي اثمارا جميلة مثلها فحسب بل تمد تلك الاثمار بحلاوة غريبة يقدمها الاديب والمفكر والفنان الى القراء والمطلعين والمستمعين ليتذوقوها كما تذوقوها هم .

اصوات من الخارج : « خليع ! فاجر ! مجرم ! ـ اديب ! فنان ! مستنير ! بطل ! شجاع ! جريء ! جبان ! نذل ! تافه ! ولد ! ـ انسان ! صبور ! قوي ـ كذاب ! خداع ! كافر مجنون ! ـ جبار ! داهية ! عبقري ! »

حوار داخلي :

صوت الانسانية : اراك اليوم حائرا . ماذا جرى لك ؟

صبري : حينما سمعت صوتك نسيت حيرتي يا حياتي . انك دقيقة الملاحظة بارعة في قراءة افكاري .

صوت الانسانية : صارحني بكل شيء يا حبيبي . لا تخفي عني شيئا . انني مستودع افكارك واسرارك . لا تخف فانني امينة على اسرارك وافكارك .

صبري : لقد سمعت اليوم من الناس كلمات متناقضة . رفعوني الى اعلى المجد ثم انزلوني الى جحيم الذل . منحوني اوسمة الشرف والرفعة والبطولة ثم جردوني منها . كل ذلك تم في يوم واحد . وهذا هو سبب حيرتي .

صوت الانسانية : انك تبدو في نظرهم غامضا لانهم لم يتمكنوا من فهمك على حقيقتك . وغموضك هذا يجعل من حياتك اسطورة ، والاسطورة تكسبك شهرة ومجدا .

صبري : ولكنهم يصفونني بالجنون .

صوت الانسانية : وان يكن ، ان هذا لا يقلل من قدرك .

صبري : كيف ؟

صوت الانسانية : ان اشتغال الناس بتتبع اخبارك ومراقبتهم لك دليلان على اهتمامهم بك . وهل يهتم الناس بشخص مجنون ؟ ان هذا برهان ساطع على انك في اعتقادهم رجل ذكي وحكيم وان تظاهروا بعكس ذلك . كل رجل مصلح يعد في نظرهم مجنونا . ان اهتمام الناس باي مصلح يعد نجاحا له . وان لم يذق المصلح ثمرة نجاحه في حياته ذاقها المجتمع الذي يعمل من اجله بعد مماته . وبذلك يتسم عمله بالانسانية والخلود .

صبري : ولكنهم لا يذكرون اسمي في حديثهم ولا في صحفهم ومجلاتهم وكتبهم كأنني لست موجودا في هذه الدنيا . وهذا دليل على انني مهمل لا يكترثون لي . انهم يكتفون بالتلميح الي .

صوت الانسانية : انك مخطىء

كلمات للشعر

●

يضرب القاع ويمضي — عابرا ... كل مغيب
ويشد السمع مجذاف — بايقاع رتيب
امطرت .. فالوعد آت — نجمة قد لا تغيب
وغماما هاربا ينبت — في صيف عصيب
وضفافا تحضن الخطو — وظنا لا يخيب

يا صديقي عندما تقرأ — شعري .. رتل الشعر
واغتبق هذا الرحيق — ليس كل الخمر خمر
فالمزامير توالي — دفقها والماء غمر
وكلانا مقلع في — زورق والعمر عمر
وصدى الانشاد باق — ليس كل الطعم مر

لا تقل شيئا وانصت — رائع هذا الهدير
يسكن الاعماق دفئا — ومدى العمر قصير

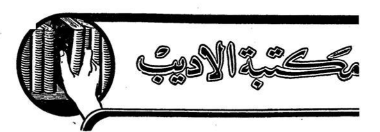
دمشق — سلافة العامري

يا عزيزي . انهم يخشون ان يذكروا اسمك في الكتب والمجلات والصحف والمثقفون ان دافعوا عنك في مواد النشر هذه اثاروا سخط الشعب عليهم لانضمامهم اليك وتشربهم مبادئك التي يعتبرها الشعب ضارة. حينما تدعو الى الاصلاح الاجتماعي يفهم الناس كلامك على انك تريد ان تبرهن على انك على صواب وانهم مخطئون . وفي ذلك مس لكرامتهم. لا يمكنك ان تكسبهم الى جانبك الا بعد ان توضع افكارك موضع التنفيذ وتعود بالخير عليهم . لذلك عليك الاستمرار على ثقتك بنفسك ومواصلة السعي نحو تحقيق هدفك ومعاملة الناس بالحلم واللين واللطف حتى تحقق امنيتك .

بعد ان فرغ صبري من كتابة خواطره اغلق الدفتر ووضعه في مكتبته . ثم القى نظرة على الكتب التي امامه ، وتناول عددا منها ، وراح يقرأ من هذا الكتاب صفحة ومن ذاك صفحة اخرى ومن كتاب ثالث صفحة ثالثة وهكذا حتى قرأ عدة صفحات من عدة كتب . انه شديد الشوق الى مطالعة اكبر عدد ممكن من تلك الكتب ليزداد ثقافة ومعرفة . انقطع عن المطالعة منذ مدة طويلة لاشتغاله باعماله اليومية الرتيبة ، فكانه الان يريد ان يلتهم كل ما في الكتب مرة واحدة ليعوض نفسه مما فاته ما فيها من افكار وفن في الاشهر التي خلت من المطالعة .

وحينما اخذ حظه من المطالعة بعد ان حول همومه وآماله الى خواطر استلقى على مقعد طويل بجانبه ، واخذ يقلب عينيه في السقف وهو يفكر فيما كتب وفيما قرأ . وقد شعر براحة عظيمة تغمر عقله وقلبه فقد تخلص من اعباء همومه وآماله. انه الان مستريح حر طليق . صفا ذهنه وفرغ قلبه . كأنه تحول الى انسان اخر ــ الانسان الذي يطمح ان يكونه . بدات حركات جسمه تقل وافكاره تغيب . واخيراً اغمض النوم عينيه ، فاستغرق في سبات عميق .

عمان — عبد الحميد الانشاصي



ديوان صيدح

الحديث عن الشاعر السوري المصري اللبناني المهجري جورج صيدح حديث محبب وطويل ، ولكنني لااريد ان اطيل . لانني لا ادري عن اي الجوانب من عبقرية صيدح اقول في هذا الحديث القصير .

ولانني لا اريد ان احجبكم طويلا عن شعر صيدح الذي هو المع الجوانب في حياة الرجل الفنية والسياسية والاجتماعية .

وصيدح يعالج شعره بروح الدبلوماسي وحاسة التاجر في آن معا . فهو يجيد فن العرض ، ويعرف كيف يتحبب الى قارئه بلا ملق ولا زلفى حتى يصل الى الصميم من حبة قلبه .

فلقد اخرج دواوين شعره في وقت مبكر ، وكان اولها ديوان « النوافل » الذي صدر في الارجنتين عام ١٩٤٧ ، وديوان « النبضات» الذي صدر في باريس عام ١٩٥٣ ، ثم ديوان « حكاية مغترب » الذي ضم معظم اشعاره ، وصدر في بيروت عام ١٩٦٠ .

وهو هنا يعيد عرض شعره في هذا الديوان الجديد بطريقة اكثر اناقة ، واحدث تنظيما ، ويضيف اليه من نفثات قلمه كل جديد .

والواقع ان شعر صيدح في حاجة الى اعادة عرض على شباب الشعراء وشباب النقاد وشباب القراء الذين لم يعاصروا فتوة الشاعر ، ولم يتيسر لهم قراءته بالامس ، فوهموا ان الشعر الاصيل ابتكار حديث ، مثله مثل الصعود الى القمر ، لكنهم لا بد ان يتعرفوا مزيد تعرف الى شاعر عاش في الميدان ثلاثة ارباع القرن ، وما زال قلمه نابضا بالحيوية كانه نبت اليوم ، وهو يضيف الجديد والجديد في كل يوم .

والى جانب الشعر فقد اشتهر صيدح بانه اول من كتب عن دقائق حياة الادب المهجري واعلامه وناشئته بتوسع وافاضة في موسوعته الكبرى « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » ، وما زال صدى آرائه في هذه الموسوعة على امتداد عقدين من الزمان .

واستميحكم العذر اذا ابطات عليكم بعض الشيء لوقفة قصيرة على الطريق لمزيد من التعريف التقليدي بالشاعر .

ومجمل ما استطيع ان اقوله هنا في عجلة ان جورج صيدح الذي يجتاز عامه الحادي والثمانين من عمره المديد المبارك ان شاء الله ، ما يزال مناضلا بسواعده في صلابة وعزم ، وما يزال قلمه يمج ريق الشباب والفتوة والعنفوان ، بارك الله له في حياته وادبه الرائد والخلاق .

ولد صيدح عام ١٨٩٣ في دمشق ، ثم نزح الى القاهرة وهو دون العشرين ، فاستوطنها خمسة عشر عاما ، ثم بارحها مهاجرا الى اوروبا عام ١٩٢٥ ، وفي عام ١٩٢٧ هاجر الى امريكا الجنوبية ، حيث عاش ربع قرن يعمل بالتجارة ، ويمارس الادب والصحافة ، ويجوب انحاء العالم ، داعية للعروبة ، مدافعا عن قضية فلسطين ، وفي عام ١٩٥٣ عاد الى الوطن العربي ليقيم في بيروت ، وفي عام ١٩٥٦ دعته الجامعة العربية لالقاء سلسلة من المحاضرات حول التعريف بالادب المهجري ، ومن مجموع هذه المحاضرات وما عقد حول الموضوع من ندوات كانت موسوعته الشاملة « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » التي طبعت ثلاث طبعات ، ثم غادر الشرق ليقيم في باريس اقامة دائمة ، ومنها يتنقل في انحاء اوربا ، مستشفيا او منتجعا للراحة ، ولكن نتاج قلمه يملأ صفحات الصحف العربية وغيرها في شتى القضايا ، ويدور بين اصدقائه في الرسائل العامة والخاصة، وتتوالى قصائده على صحف البلاد العربية والمهاجر ، او تنشر في مجموعات « شظايا حزيران » و « شظايا ايلول » وعلى البعد يشارك في سياسة بلاده العربية ، ويتابع احداثها ، وتكون اصداؤها عصارة عقله وقلبه ، ونفثات شعره ونثره ، بالنقد ، والتعليق ، والـرأي والتوجيه .

وما زال صيدح دعامة من دعائم العروبة في الغرب بشخصه وقلمه، وهو قوة حيوية متجددة في عالم الشرق العربي المعاصر .

و « ديوان صيدح » في اخراجه الجديد الانيق ، وفي حجمه الصغير ـ صدر منه جزءان ، اعاد فيهما نشر بعض اشعاره السابقة التي ما زال عليها من رواء الجدة والطرافة ما يفعمها بالنبض والدفء وروح الابتكار ، واضاف اليها الكثير مما لم يضمه ديوانه الكبير « حكاية مغترب » ، كما اضاف اليها ما جد من شعره بعد عام ١٩٦٠ ، وما زال تحت الطبع جزءان آخران ، لكي يكتمل ديوان صيدح .

والجزء الاول من الطبعة الجديدة ما زال يحمل عنوان « حكاية مغترب » ، والشاعر يعرض غربته هنا في حلقتين متداخلتين ، الحلقة الاولى : حكاية مغترب بين قومه ، والثانية : حكاية مغترب مع اسرته .

وتحكي قصائد الديوان قصة غربة الشاعر على النحو التالي :

ففي غربته بين قومه تتحدث قصائده عن الادباء العرب المتاجرين في المهاجر ، وعن رحلته الى القاهرة ، وكيف خرج من المدرسة ، وكيف شردته نكبة مالية من مصر الى المهجر البعيد ، وكيف كان احساسه بالغربة في اوربا ، ثم في امريكا الجنوبية ، وكيف اندمج في جو المهجر، وكيف جعلته الدسائس والمؤامرات يعتزل التجارة ، ويشغل نفسه بالسياحة ، ويشارك في القضايا العربية بماله وجهده وقلمه ، ويقوم بتوثيق الصلات بين البلاد العربية وبلاد امريكا الجنوبية ، وماذا لقي من التكريم في البلاد العربية والمهاجر .

كل ذلك تاريخ يعرض في لوحات تصويرية وتاملية رائعة ، تحمل شعر الشاعر بين عام ١٩١٢ ، وعام ١٩٧٢ ، وقد اردت ان اعبرها سريعا ، لاصل مباشرة الى الحلقة الثانية ، وهي « حكاية مغترب مع اسرته » لانها كما سنرى مفعمة بالاحاسيس الذاتية ، والعواطف الحارة الملهة ، لانه يتحدث فيها عن امه في قصيدتين ، اولاهما قصيدة عتاب بعنوان « ذنب الام » ، التي يقول فيها :

كسرت قلبي فمن يجبره   ان تكن امي التي تكسره

والثانية « نعي الوالدة » التي لقيت ربها وهو بعيد في ديار الغربة ، وفيها يوصي اخوته قائلا :

ودعوها ، شيعوها   بمراسيم الخشوع
وعلى الهام ارفعوها   واغسلوها بالدموع
امنا لا تضعوها   في الثرى بل في الضلوع

والى روح ابيه في جناز الاربعين يهدي قصيدة « بقية مدمع » ، وفيها يقول :

ابا القلب الحنون فداك ابن   اتى يبكيك بالقلب الحنون
وهاك مدامع الاخوان حولي   متى استنفدت دمعي اسعفوني
ثمانية تنادوا واستمدوا   سخين الدمع من جرح سخين
ربينا تحت ظلك في امان   كان الدهر كان بلا عيون

ثم في قصيدة مرحة يقص علينا قصة زواجه واستقامته ، وكيف انتشله هذا الزواج من الطريق المموج ، وكيف اسلم قياده طوعا الى قيود الزوجية ومسؤولياتها ، لانه وجد الملاك الذي يقاسمه حياته ، ويحيلها الى فردوس .

وربما تبدو على هذه القصائد مسحة التقليد ، خاصة وقد قيلت في مناسبات تحتم على الشاعر ان يقول فيها شيئا ، اذ لا يليق بالشاعر ـ اجتماعيا ـ الا يقول الشعر في رثاء والديه ، ولا يليق به ـ عاطفيا ـ الا يجامل عروسه في ليلة زفافها ، وربما يكون اعجابها به اول ما اعجبت به كشاعر ، ومن الكياسة ان يستقبلها بهذه الابيات التي تسيل رقة ونعومة ، كي تفرش له بيته مدى الحياة بالزهور والرياحين ، انه يقول :

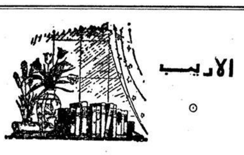
يا ملاكي شاركتني في جحيم	صار ابهى من النعيم وابهج
ما الندى من انامل الرقق احنى	حين مرت على جبيني المؤجج
واحمرار الورود ليس بازهى	من حياء في وجهها يتموج
ما هديل الحمام ابلغ وقعا	من هفيف في صوتها يترجرج

لكننا حينما نوغل مع الشاعر في اخص خصائصه ، وحينما يضيق معنى « الاسرة » ، وتتسع دائرة « الانانية » حتى تصبح نابعة منه متدفقة اليه ، هنا تكتسب العاطفة معنى جديدا ، يتدفق بها الشعر طبيعيا وناضجا وحلوا ، ومحتشدا بكل الاحاسيس الانسانية الاصيلة لا حينما يغني الشاعر وكانه يغني لنفسه ، ولا يدري اننا نطل عليه من هذه النافذة الصغيرة .

هذه ابنته الوحيدة تلعب مع كلبها .. صورة تحدث كل يوم ، بل كل لحظة ، وابنة صيدح ليست بدعا بين بنات العالم ، ولكن كيف صورها الشاعر هذه الصورة الخالدة ؟ لقد احتضنها بكل الحب وكل الحنان ، وهي تشب على عينيه ، وهو يرى فيها امسه ويومه وغده ، ويودع هذه الصورة عصارة حياته ، فتبدو لنا وكانما صورت نفسها ، هكذا تبدو قصيدة « شيطنة » :

ابنتي مع كلبها تلعب في رحب الحديقة
امها غابت ، فمندا يكبح البنت الطليقة
اعلنتها ثورة ضد المراسيم الوثيقة
وعدت كالابق العجلان يشتق طريقه
ضربت في العشب ، داست اصص الزهر الانيقة
ومضت تفرك آذان الافانين الصفيقة
مورقات ، اصبحت ارجوحة اللهو الحليقة
رشرشتها بسخاء ترك العطشى غريقة
من رآها ظنها تطفىء بالماء حريقه
رب ورد هاجمته ، وهي للورد شقيقة
وبسين داعبته اسمع الحي شهيقه
كلبها المسؤول عنها قلق يبلع ريقه
خائف عاقبة الطيش على ردف الرفيقة
وانا في مقعدي اسعد حي في الخليقة
اتغاضى ، وعيوني لم تفارقها دقيقة
اجتلي في وجهها وجهي وعرقي والسليقة
خلف منظاري توارت دمعة الشكر الرقيقة
دمعة العاشق لا يردعه ضحك العشيقة
دمعة تفسل اوزار الصبابات العتيقة
دمعة افرغت الاحلام في جفن الحقيقة
دمعة تستعطف الدهر وتستعطي رحيقه
ليته يجمع عمري في سويعات الحديقة

هنا لا بد ان ندرك الفرق واضحا بين الشعر الذي اوحته المناسبة التقليدية وبين الشعر النابع من ثنايا النفس الضنينة بفلذة الكبد .



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٥٠ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الأنصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139 ☎

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

وتلك « الشيطنة » التي نحس فيها النبض متراقصا مرحا تتوثب فيه كل احاسيس الشاعر ، كانت حين طفولة الابنة وهي تبدأ حركاتها العشوائية ، فلما كان عيد ميلادها الاول اهدانا هذه القصيدة « الى ابنتي في عيد مولدها »:

نشات بين جفون الياسمين   زهرة في الروض تسبي الناظرين
سالوني : ما اسمها ؟ قلت اسمعوا : اطرب الانغام عندي « جاكلين»
اتراها خيرت في خلقها   فاتت كاملة الحسن المبين
ام براها الله من ذوب السنا   وبنات الناس من ماء وطين
انها الروح التي تقوى بها   روح صدري في معاناة السنين
انما اولادنا اكبادنا   وعلى الاكباد نحيا آملين

ويجيء عام ١٩٤٨ ، والاب يقترب من الستين ، وما تزال جاكلين هي النجم الاوحد في سموات ابيها الشاعر جورج صيدح ، وذات يوم تفجؤها الزائدة المعوية ، وتصبح الجراحة لجاكلين ـ ابنة التاسعة عشرة ـ امرا لا مفر منه ، وتنام الفتاة تحت وطاة المخدر ، بينما تستيقظ كل اعصاب الشاعر وتصاب باقصى درجات التوتر ، وكأن مبضع الجراح يقتطع من نفسه مضغة مضغة ، وتضمد جراح الفتاة ،ولكن بعد ان تتدفق دماء ابيها غزيرة حارة على سنان القلم واديم الطرس في قصيدة بعنوان « ساعة التجريح » :

رفقا بها يا مبضع الجراح   شرحت قلب الوالد الملتاح
ان زدت ايلاما فضحت تجلدي   وجمعت بين صياحها وصياحي
والله لو اطلقت روحي لارتمت   تحت النصال تصدها بجراحي
هذي القطاة قصاصة من ريشها   تكفي اذا انتثرت لقص جناحي
ماذا جنت وهي الفطيمة في الربا   حتى تذوق خسارة الاقداح
بالامس مدت عنقها من وكنها   واليوم تشهد مدية الذباح
الياسمين الفض في اكمامه   غبن النضارة اخذه بالراح
انا لا اخدشه بغير نواظري   وبغير شم عبيره الفواح
مالي اراه على الخوان مجرحا   واكاد الثم انمل الجراح
ويحي ، دفعت الى المشارط فلذة   كنت الضنين بها على الارياح
صرعت من الالام في غيبوبة   سكرت بها ، وانا الصريع الصاحي
قالوا غلوت بحبها ، فاجبتهم   ويل الشجي من الخلي اللاحي
النوح ان يثقل على اسماعكم   صلوا لاجل نجاتها وصداحي
هي فرحة للوالدين وحيدة   يتآسيان بها على الاتراح
ان الذي اشفى على خوض الدجى   مثلي ليقدر قيمة المصباح
آمنت في علم الطبيب ، وان في   جرح الجسوم سلامة الارواح
رباه سدد كفه وسلاحه   اني طرحت على يديه سلاحي

وبعد خمس من السنوات يحين الفراق الحتمي بين ابنة بنت وابيها ، فتخطب جاكلين الى الصحفي الاديب اللبناني حنا غصن ، وينفحها الشاعر بقصيدة مرحة مغلفة بالفكاهة ، ولكننا نحس من وراء ذلك صراخ الاعماق تهتز الكلمات تحت وطأتها حتى لتكاد تعبر عن مأساة الاب المقبل على الفراغ المجهول ، ولولا انها سنة الطبيعة الغلابة لضن الاب بابنته ، لكن الاذعان للامر الواقع جعل الاب يبارك الزواج ، ويبرره امام نفسه بانه لا يمنح ابنته لزوجها ، بل يضيف الى نفسه ابنا جديدا ، ففي قصيدته « اليوم المشهود » يقول صيدح :

تسللت بجناح خارج الوكن   عصفورة عينها مالت الى (غصن)
ربيبة الظل والانداء اوحشها   حب من الحب في روض من الحسن
ماذا جرى؟ الم يضق صدري بخلجتها   ولم يدلل سواها فلذة حضني
ربيتها بين اجفاني ، وبي جزع   من ان تعثر بين الهدب والجفن
حتى اذا اعبلت ، واشتد ساعدها   حنت الى افق تنأى به عني
مضى الزمان الذي اشبعتها لعبا   فيه ، وجاء اوان اللعب في ذقني
كانت تروح وتغدو ان اذنت لها   فاصبحت ترقص السمبا بلا اذني
يبني على الرمل من يبني على ولد   قصور آماله ، يا غبن من يبني
قلب العذارى بياض حالم بفم   يملي عليه الهوى في الشرح والمتن

الله في عون حسناء يطارحها   غرامه صحفي حاذق الفن
باللفظ يسكرها ، باللحظ يسحرها   واي انسية تقوى على الجن
يا خاطب الحسن والاخلاق فزت بها   لا خاب ظنك في العقبى ولا ظني
هذي الوحيدة انت الان واحدها   عن الغنى بهناء الحب تستغني
مهرتها ادبا يربو على ادبي   فاستطيبت منك ما لم تستطب مني
ما ساومت في انتخاب الكفء ، بل عمدت   الى انتخاب بلا رشو ولا طعن
خيرتها ، وهي تدري ذوق والدها   فاختارت الصهر من لوني ومن وزني
اقول للقلب انزله على سعة   فانت يا قلب بيت لابنتي وابني

وتتزوج الفتاة ، ويحس الوالد بالفراغ ، ولكن رحمة الله تتداركه ، فلا يمر عام حتى تلد له جورج الصغير ، وعلى الفور تنتقل العاطفة التي لم تبرد بعد من البنت الحبيبة الى ابنها الحبيب ، فالتدليل ، واللهفة ، والامل ، والتي تعود فتستقطب حول الحفيد جورج غصن ، ويوجه اليه الشاعر « رسالة جد » وكان الاجدر بها ان تسمى مناغاة جد ، حيث يقول فيها :

ادركت عمر الهلال   يا سبط سبط المعالي
عام الصرامة ولى   ابشر بعام الدلال
كان القماط ثقيلا   على مزاج الغزال
تشكو السرير ، ويشكو   صريره المتوالي
كم نمت فيه نهارا   ولم تنم في الليالي
ونحن حوليك جوق   مهرج متحال
نهفو اليك ونشدو   وانت غير مبال
اذا ضحكت فضحك   على عقول الرجال
وان بكيت فعين   تسح والقلب خال
وان سكت طرحنا   عليك الف سؤال
وان خطوت بنينا   على خطاك العلالي
وان وقعت شعرنا   في الصدر وقع النبال
رضاك غال علينا   وابن الكريمة غال
يا فرحتي اذ تناغي   على البساط حيالي
حتى امطيك ظهري   في غفلة من عيالي
كانني حزت كنزا   مخبأ في رحالي
بني يا روح روحي   ويا خيال خيالي
يا وصلة بين امسي   وحاضري ومآلي
يا زهر (غصن) روى   من الهوى والجمال
انت الربيع المرجى   لدوحة في انحلال
حوطت باسمك اسمي   من عاديات الزوال
هذي سماتك نالت   ارثا عزيز المنال
حسبي من (الغصن)   انني فيأته بظلالي
بني يا بعض نفسي   وكل همي وبالي
اليك دنياي الت   بما علي وما لي
شيعتها بقصيد   كتبته في الرمال
اهديكه عربيا   ولو تعاجم آلي
عسى يؤاتيك يوم   تفك فيه مقالي
يوم تلفت فيه   الى السنين الخوالي
فلا تراني الا   عبر الرسوم البوالي
ملامحي تتراءى   فيه ، وبعض خصالي
يا رب اطلق سراحي   رأت عيوني مثالي

اما عندما يصبح الحفيد حفيدين فان حدة العاطفة تخف ،ويحاول الشاعر ان يتفلسف ، وهو يقول في قصيدته « مع الحفيدين » :

تعالا صفيري نحوي تعالا
اضحكا والعبا
وكالطير تشدو متى الغصن مالا
غنا واطربا

دعاني اقبل ورد الخدود فتلك القبل
متى بالقنوط ادلهم وجودي تنير الامل
فاحسب صخرا عن الصدر زالا
صفيري هيا الى ركبتيا تعالا .. تعالا
فدى لكما ما كنزت بصدري وفي جيبتي
تفوزان بعدي بثروة شعري وبالخيبة
فان تقنعا بالثراء مقالا فحي عليا
ايا وارثيا تعالا .. تعالا
هنيئا لبيت به تقطنان هنيئا له
اذا الفكر صور شكل الامان جلا شكله
كأن السعادة ليست محالا تعالا .. تعالا
جميلان والحسن اصل المحبين وحقيكما
سانفر من كل وجه حسن سوى منكما
فاني ابارك هذا الجمالا حفيدي هيا تعالا اليا
تعالا .. تعالا

وبعد .. ايها الاصدقاء

ان خير ما يصنع الناظر في شعر صيدح ، هو ان يقدم شعره لاصدقائه ، وانا ارجو ان اكون قد قدمت ما راق لي ، وما ارجو ان يروقكم ، وان كان كلشعر صيدح يحلو ويروق .

ولعل لنا لقاءات مع الاجزاء التالية من ديوان صيدح .
فالى لقاء .

القاهرة **رضوان ابراهيم**

●

البيت العربي السعيد

تاليف ديزي الامير ــ ١٠٦ صفحات ــ دار العودة ــ بيروت ١٩٧٥

قصص ديزي الامير ذات اتجاه واقعي يجافي العنف والمغالاة والابتذال . تكاد تخلو من حوادث الشذوذ والغرام الكاسح والقتل والانتحار . الاسلوب هادىء ونشيط في آن ، ذو عبارة تميل الى الايجاز والتركيز ، تنقل اليك صورا متلاحقة كما في الشريط السينمائي ، او في الشعر الحديث المعتمد على المونتاج او تتابع الصور . العاطفة والفكرةمكبوتتان وراء الصور وعليك ان تستنتجهما بنفسك وفي هذا الاستنتاج متعة لانه يشحذ الفكر . لا اعني ان في قصصها الغازا ومعميات لكنها حافلة بالاشارات واللمسات وضروب التلميح والتعريض . هذه ميزتها الاولى اما الميزة الاخرى فهي تدقيق الوصف بشكل يجعلك تلمس الصورة ، تغرق في جوها ، تتعاطف مع الاشخاص ، تجالسهم وتفهمهم لانهم متحركون ينبضون بالحياة ، ولان المؤلفة تنظر الى موضوعها بعين الفنان الذي يرى اشياء لا يراها غيره ، ويؤثر التعبير اللامباشر لانه اشد تأثيرا وتوضيحا .

« قامت الى النافذة ، اسدلت ستائرها . والى الثانية والاخريات ، اطلقتها كذلك ، واضاءت النور . نزعت جواربها ومشت حافية . فتحت ازرار ثوبها ، وتركته يتساقط عنها ، سارت في ارجاء البيت غرفة بعد غرفة ، تسمع صوت الصمت ، اصغت الى الجدران العارية وركزت عينيها على الكراسي الفارغة » .

في هذه الفقرة تصوير دقيق لحركات ربة البيت المتعبة التي ارهقتها واجبات الضيافة وازعجها الضيوف الذين ملأوا الكراسي وحجبوا الجدران ، فهي تطلب الخلوة والراحة عقيب انصرافهم ولا تصدق ان البيت عاد اليه الصمت وان الجدران اصبحت عارية والكراسي فارغة .

في الشعر الحديث ، تلجأ الى تكرار عبارات لافتة النظر ويختلط عندها الحلم بالواقع والوعي باللاوعي ، فبعض قصصها احلام (الاربع الاخيرة) . وفي قصة « سائق الباص الحكومي » تلح صورة سائق الباص على البطلة وهي تنفذ اعمالها المكتبية . يشرد ذهنها عن موضوع عملها وتزدحم فيه الافتراضات حتى تنسى مرور الزمن وينتهي وقت العمل قبل ان تتم عملها . ولعل ذلك نتيجة التعب والارهاق .

ومن وسائلها الفنية السخر في المواطن التي يستحسن فيها ذلك :

« الضيفة تنظر بوله الى بطنها وطفليها وهما يعبثان بحوائج الغرفة ويقلبان كل ما فيها . انهما طفلان سعيدان والعبث بالاخرين من مظاهر السعادة .. »

« قامت هي وبطنها وطفلاها ... »

قصة « البيت العربي السعيد » تحمل في عنوانها كما في تفاصيلها سخرية مريرة فصاحبة البيت تتناول حبوبا مهدئة للاعصاب وضيفتها ذات الزوج التقدمي تعيش خاضعة خضوعا تاما لامراة العم ولافراد اسرة العم ، تقبل بالرضوخ ، اي بالعبودية ، « لانها ترضي الجميع ، ترضي الام والاخوة والاخوات واخرين » . وهكذا تعيش المراة على الكذب والرياء لانهما اسلم عاقبة واضمن للسعادة . الا ان هذا الوضع لا ينطبق على المراة فقط بل على الرجل ايضا ، عاملا كان ام موظفا ام رئيس عمل .

مضمون الكتاب يتناول الوانا اخرى من الظلم والغبن في مجتمعنا العربي السعيد . « عمة رفيق » امراة مناضلة يرى فيها اخوها ساعده الايمن ولا يقدم على عمل من غير استشارتها . لكن هذا الاخ المناضل يتزوج امراة لا تجيد سوى التبرج . والاخت التي تتفوق باعمالها على الرجال والتي يفاخرون بانها اخت الرجال ، يستحلون ارهاقها ، يضنون عليها بالراحة واللهو ، يحتقرونها اذا تبرجت ، المراة مهما سمت وعلت تظل فاقدة الشخصية ما لم ترتبط برجل .

في قصة « القادم الجديد » حكاية الفتاة التي وضعت عليها مسؤولية اعالة اسرتها الكثيرة العدد لانها كبرى اخواتها واخوتها . وهي دائمة الخوف من قادم جديد اي من طفل جديد تلده امها ليزيد عدد الافواه التي يجب ان تطعمها . اخوتها الصبيان يفعلون ما يشاؤون . يسافرون . يغامرون . يسجنون . اما هي فمرتبطة بعملها لا تستطيع ترك البيت ولا تجرؤ على التمرد والعصيان لان القتل ينتظرها اذا هربت كما يهرب اخوتها .

تلك نماذج من مشاكل المجتمع العربي تعرضها ديزي الامير باسلوب لبق ، حديث ، يدل على تمرس ونضج وتفكير سليم .

الدامور ــ لبنان **روز غريب**

●

الله والنيل والحب

ديوان الشاعر صالح جودت ــ ٢٤٠ صفحة حجم كبير ــ منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة

في اواخر صيف ١٩٧٣ ، انعقد في مدينة بعلبك مهرجان ادبي كبير شاركت فيه الحكومة اللبنانية بشخص رئيس وزرائها ، والقى فيه عدد

من شعراء العرب وادبائهم قصائد وخطبا ، في تكريم ذكرى شاعر الاقطار العربية خليل مطران ، بعد ان تم نقل رفاته بجهود الصديق المؤرخ الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك من القاهرة الى مسقط رأس الشاعر البعلبكي ، وبعد ان وقف اثر خليل مطران منتصبا قبالة اثار بعلبك التاريخية الباقية على الزمان .

يومذاك ، القى صديقي الشاعر الكبير الاستاذ صالح جودت قصيدة باسم مصر ، تعتبر من عيون شعره ، وكان مما قاله فيها :

لا بانجيله ولا قرآنه … بعث الله شاعرا في زمانه
جل شان الاله ما علم الشعر … نبيا ، او بثه في لسانه
ارسل الانبياء بالآي والاصحاح … كي نهتدي الى سلطانه

الى ان قال ، مشيدا باصولية خليل مطران والتزامه العمودالشعري:

اغفروا لي اذا وقفت اغني … بالعمود الشعري بعد هوانه
بعد ان غالنا الجديد ، وكدنا … من اسانا نغيب في طوفانه
بعد ان هيضت البلابل في الروض … وطاب الغناء من غربانه
رحم الله للخليل زمانا … غير هذا الزمان في هذيانه
كثر العابثون في حرم الشعر … وقل الذواد عن اركانه
كثر المازحون فيه ، وعاثوا … في تفاعيله ، وفي اوزانه
وغدا كل شاعر ينهش البحر … كنهش الذليل من حيتانه
هل سمعتم به يضل ويزري … بالروي الشجي في ارنانه
هل سمعتم به يجب القوافي … وهي حول القريض عقد جمانه
هل سمعتم به يندد بالفصحى … ويختال في ذيول رطانه
يا سقي الله يعربا بالتاسي … فهو في محنتين تفترسانه
من اذى العابثين في حرم القدس … وسينائه وفي جولانه
واذى العابثين في حرم الشعر … وفي حسنه وفي احسانه

فلم يكن بالمستغرب في شيء ، وانا اتلقى من الاستاذ صالح جودت هديته النفيسة الجديدة « الله والنيل والحب » ، ان اهرع مقلبا صفحات الديوان ، لكي اعيد واستزيد من جمالات هذه القصيدة التي سبق لي ان ابديت له احتفائي بها ، وهو في رحاب لبنان ، يوم انعقاد مهرجان ذكرى الخليل ، فكانت خيبتي كبيرة ، اذ وجدت نفسي كمن يبحث عن السراب البعيد .

وعدت اقلب صفحات ديوان «اللهوالنيل والحب» باحثا عن قصيدة صالح جودت التي القاها في مهرجان الشعر الذي عقد بتونس في شهر اذار (مارس) عام ١٩٧٣ ، والتي بداها قائلا :

قسما بسحر عيونك الخضر … يا اجمل الالوان في عمري
وبدرك المنظوم مزدهيا … بالاحمر المضموم في الثغر

حتى ينتقل نقلته البارعة الى حديث وطني رائع :

قالت : وكيف النيل ؟ قلت لها : … رغم الحوادث لم يزل يجري
متحملا لجراح عزته ، … متذرعا بالحلم والصبر
مترصدا للمحدقين به ، … متحفزا للاخذ بالثار
ما زالت الاهرام شامخة … والسد مختالا على النهر
وهواية الامجاد ما برحت … مهوى قلوب الفتية السمر
الصامدين بحلو نكتتهم … يروونها في العسر واليسر
ومن العجائب في طبائعهم … لطف الحمام وعزة النسر
يروي ابو الهول الامين لهم … ما شاقه من حادث الدهر
نقش الفراعن في برائنه … تمويذة مجهولة السر
مر الغزاة به فما هبطوا … من سفحه الا الى القبر

ولا ينسى « اصحابه » من الشعراء المنثورين الذين اطاحوا باصول الشعر وقواعده ، لا عن تفنن وتطرق ، وانما عن عجز وقصور لا يخفيان على احد ، فيقول :

انا صاحب « الشابي » مذهبنا … الا نخون خليلنا البصري
وامانة الشابي في عنقي … والذود عن ذكراه من نذري
ما زال في قلبي وفي خلدي … منه شذى متارج العطر

واحسه روحا مرفرفة … في المهرجان كرفة القمري
واكاد المحه بقامته … مترنما بروائع السحر
واكاد اسمع صوت غضبته … مما الم بحرمة الشعر
جمدوا التراث ، وباركوا جزءا … متعمد الاقواء والكسر
متطاولا ، متقاصرا ، قلقا … مترددا كالمد والجزر
سموه بالحر الجديد ، الا … يا رحمتا للشاعر الحر
الشعر موسيقى منغمة … اما حنا شطر على شطر
وتانقا وزنا وقافية ، … وتالقا بثقافة العصر

قلت : عدت اقلب الديوان ، بحثا عن هذه القصيدة الرائعة ، فطيب الديوان خاطري اذ وجدتها في الصفحات (٧٠ وما بعدها) منشورة بكاملها ، بعد هذا ، ارجو الايحسبني القارىء متظرفا ، عن عنت ، ان صارحته بانني احسست ، وانا ارى قصيدة ، وافتقد اخرى في الديوان الجديد ، بمثل الولوع في البحث عن قصائد بعينها ، كمثل قصيدته التي القاها في مهرجان تكريم ذكرى عزيز اباظة الذي اقيم بالقاهرة في شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٤ ، والتي مطلعها :

ما عزائي فيك ، يا خير عزاء … منذ ان غاب امير الشعراء
لم تزل تسعى الى سدته … بعد ان عز عليها الاولياء

ومنها قوله :

فاض منك الشعر روحي الشجي … بحتري الروح ، شوقي البناء
طاوعتك الشاعريات التي … لم تطع في الشعر الا الامراء
انما الشعر المصفى دولة … لم يزل فيها السراة الكبراء
لم تزلزلها انقلابات ، ولا … هزها سيف ، ولا شقت دماء
غير ان المحنة الكبرى بها … ما جناه المحدثون الادعياء
انكروا الاوزان في روعتها … والقوافي البلبليات الغناء
في زمان عابث يطربه … هذر المرد ، ولغو اللقطاء
سوف يبقى الشعر في سفر العلا … ويولون مع الريح جفاء
انما يمكث في الارض الذي … ينفع الناس ، ولا يبقى الهباء

فلما وجدت الديوان الجديد خلوا من هذه القصيدة ايضا ، شعرت بمثل اليقين ان هذا الديوان الصادر عام ١٩٧٥ ، لا بد له ان يغفل قصيدتين اخريين ، نظمهما الشاعر في عام ١٩٧٥ بالذات ، فحال المرض دون القاء احداهما وعنوانها « اغنية الجنوب » في المهرجان الثقافي الذي اقيم بالخرطوم في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥ ، بسبب المرض الذي عدا على الشعر فالزمه الفراش ، ومطلعها :

الحبيبان ، اذا دلا وتاها … فهي الصبوة في احلى مداها
يفرح العذال في بينهما … ويقولون : اجتوته واجتواها
ليتهم يدرون ما سرهما … انها الاشواق وافت منتهاها
وقضى الله بان يلتقيا … في ظلال بارك الله جناها

واما الثانية ، فهي التي عنوانها « فدائية » ، وقد القاها في مهرجان الشعر العربي بالجزائر في شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٥ ، ومطلعها :

لقيتها ساعة العشية … حسناء كالزهرة الندية
شبابها فيه كبرياء … وروحها ملؤها حمية
تمشي على « السين » في اعتداد … كصخرة صلبة عتية
وترمق الكون في تحد … للسيف والخوف والمنية

لا اريد ، بعد هذا ، ان امضي قدما في البحث عن القصائد والمقطوعات الشعرية الجميلة التي افتقدتها في ديوان صالح جودت « الله والنيل والحب » ، كقصيدته « اغنية صيف » المنشورة بتوقيع « ص.ج » في ملحق الهلال : « الزهور » (العدد الثامن ـ اغسطس ١٩٧٣) ، وقصيدته « دعاء » (الزهور ـ العدد العاشر ـ اكتوبر ١٩٧٣) وقصيدته « حبيبتي » (الزهور ـ العدد الرابع ـ ابريل ١٩٧٣) ، وحسبي اقتناعا بان صالح جودت قد ضم او انه سوف يضم هذه

القصائد واشباهها في ديوان اخر ، وان كنا نتمنى لو قرأناها ، او بالاحرى لو تيسر لغيرنا ايضا من القراء ان يطالعوها في ديوان « اللـه والنيل والحب » .

واما محتويات الديوان ، فتنطوي على الثلاثية المقدسة (في رحاب الكعبة ، في رحاب المدينة المنورة ، وفي رحاب القدس) التي غنتها فقيدة الغناء العربي ام كلثوم التي استحقت عن جدارة لقب « كوكب الشرق »، كما تنطوي على مترجمات عاطفية من شعر كتب باللغات الاجنبية باقلام توفيق الحكيم وسلوى حجازي وعلية فهمي وفرانشيسكو ايروبيللو وما بين الثلاثية والمترجمات ، تتناثر قصائد وجدانية ، وطنية ، دينية توحي كلها بدفء العاطفة ، وشفافية الاحساس المرهف ، ورقة النبرة الشعرية التي طالما تذوقناها في اعمال صالح جودت .

ولعل من حق الشاعر والقارىء معا ، ان اقف وقفة ولو قصيرة ، مع كل قصيدة من قصائد الديوان ، لكن ذلك الامر يحتاج مني الى دراسة تفصيلية لا يتيحها لي هذا المجال . لكنني مؤمن تمام الايمان بقولة صديقي الكبير الشاعر عمر ابو ريشة : « ان الربيع ببعض العطر يختصر » ، فلا بأس ان انا الحت الى بعض معالم الجمال ، على طريق ديوان « الله والنيل والحب » .

ان رقة صالح جودت ، الشاعر الغزل الذي يعرف وحده مقدار ما يتقي الله في قلوب العذارى ، تعلن عن نفسها في كل حرف من حروفه الوجدانية المتناهية الشفافية :

سيان ، ان اخلصت او خنت   اني احبك مثل ما انت
وارى بك الانثى اذا انفجرت   واشم فيك براءة البنت
فيك الخطيئة والخلاص معا ،   يتلونان .. وكم تلونت
بطهارة العذراء ذبت تقى   وبلهفة الانثى تزينت
ما بالوفاء كبرت في نظري   او بالرياء صغرت او هنت
انت الحياة .. وكنت اجهلها   ان الحياة كما تبينت
القاك لي ، فاقول : يا ترفي   ولآخر ... فاقول احسنت
ويظل قلبي في تعلقه   اما قسوت عليه او لنت
فاذا اختلفت صرخت من جزعي   متوسلا : عودي كما كنت

ان لصالح جودت ان يحب هذا النوع من النساء ، لكن هذا الحب الفارق في الوجودية يتناقض مع موقف اكثر عزة وانفا يطالعنا في قصيدة اخرى عنوانها « رسالة الى مغرورة » (ص ٥٧) :

ردي علي تحيتي ، ردي   لا تسرفي في قلة الود
عيناك جوهرتان من الق   لون الزمرد فيهما يردى
لا تخفضي الجفنين في ترف   ترف الدل يبوح بالقصد
اني لالمح فيهما ظمأ   لن يرتوي من شاعر بعدي
ان كان غرك فرط ما وصفوا   من حسنك الطاغي على الحد
لا تخدعنك فتنة الانثى   فتن الرجولة كلها عندي
او كان غرك ان الف يد   تمتد نحو هواك تستجدي
لا تقحميني في الزحام ، فما   كانت يدي من هذه الايدي
ان الدم المصري يعصمني   فكرامتي شماء كالسد
لا تحسبي ، مهما طغى ولهي   اني اطيق مذلة العبد

واننا بمثل هذا الشعر نحتفي ، ولمثله نصفق ، وعلى ايقاعه نحدو اروع الحداء ، ونغني ارق الغناء .

ويتجلى ايمان صالح جودت في قصيدته « صلاة » (ص ٦٢ من الديوان) التي كان نشرها في عدد شباط - فبراير ١٩٧٤ من «الزهور»، وفيها نستشف روح الشاعر الانسان المنيب الى رب العباد :

على كل ناصية شاهد   بانك دون الورى خالد
وفي كل ما حولنا آية   « تدل على انك الواحد »
الهي .. وانت العلا والجلال   وانت جميل تحب الجمال
حنانك يا رب ملء الوجود   وعفوك فوق حدود الخيال
وانت الكريم ، وانت الرحيم   ومنك العطاء ومنك النوال
يؤمل عفوك جم الذنوب   ويسعد في حبك العابد
وفي كل ما حولنا آية   « تدل على انك الواحد »

واقف ، مع الشاعر ، مستجليا « ليالي الاسكندرية » (ص ١٨٨)، وهي القصيدة التي نشرت في عدد ايلول - سبتمبر - من « الزهور »، فاقرأ من مطلعها قول صالح جودت :

انت للدنيا سلام وتحية
انت فردوس القلوب العربية
يا ليالي الصيف في الاسكندرية

موكب الحسن على الكورنيش اذ يخطر ليلا
يملأ الجو ترانيما وانغاما وميلا
كلهم في ذكريات من هوى قيس وليلى
يسالون الرمل والبحر هل الجنة احلى
من مغانيك الحسان العاطفية
يا ليالي الصيف في الاسكندرية

ورغم ما في هذه القصيدة من الرشاقة والرقة والوصف الشعري الجميل ، فهي قد ذكرتني بقصيدة اخرى لصالح جودت عنوانها « الاسكندرية » ، كان قد القاها في مهرجان الشعر الرابع الذي اقيم بالاسكندرية في تشرين الاول - اكتوبر - ١٩٦٢ ، ونشرها في الصفحة ٢٣ من ديوانه « الحان مصرية » . وهذه القصيدة التي يشير صاحبها الى « انها ذات قافية لم ترد في تاريخ الشعر في « البحر البسيط » هي من اصدق ما يمثل قوة شاعرية صالح جودت ، وتكامل الصيغة الفنية لديه ، فضلا عن كونها تتحدى العديد من شعراء الوزن والقافية ، ومن شعراء النثر ، على حد سواء بقافيتها الغالية ، وقيمتها الفنية العالية.

يقول صالح جودت في قصيدته هذه :

اسكندرية ، فيك الري والظمأ   باي قصة حب فيك ابتدىء
اقصة الحب طفلا في ملاعبه   ما هم اترابه الدنيا ولا عبأوا
ايام كنا نرى الحرمان معصية   وناخذ اللهو كلا ليس يجتزأ
ونجعل الرمل قصرا ، ثم نهدمه   ونركب الموج عرشا ، ثم ننكفىء
ولت طفولتنا كالحلم مسرعة   ودب من بعدها المستقبل اللكىء
جاء الشباب ، وكنا في ملاوته   نلهو فنغلو ، ونستشري فنجترىء
اما الشباب ، فقد فضت موائده   وما تخلف الا الجوع والظمأ

وتجري القصيدة على هذا الروى ، حتى تبلغ تسعة واربعين بيتا من عيون الشعر الوطني الذي لا يخفي مرارة الشاعر مما الم بالوحدة المصرية السورية من انقطاع حزين . ومما اعرفه شخصيا ، عن هذه القصيدة ، ان المرحوم عباس محمود العقاد ، حين سمع للوهلة الاولى مطلعها من الشاعر ، وكانا معا في لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب في القاهرة ، ساله : « كم بيتا تظن انك تستطيع ان تنظم على هذا المنوال » ، وفوجىء العقاد بان القصيدة كانت تناهز الخمسين بيتا .

وبعد ، فلقد آثرت ان يتجاوز الحديث عن « الله والنيل والحب »، حدود الصفحات المنتظمة في هذا الديوان الجديد ، ليتناول من قصائد صالح جودت ما نشر في مواضيع اخرى ، دون ان تضمه دفتا ديوانه الانيق الرقيق ، تدليلا على شاعرية فياضة ، وطاقة فنية لا فضل لي في اكتشاف شيء جديد فيها ، وحسبي ان ادل على العطر ، وان كان العطر يعلن بنفسه عن نفسه ، في شعر صديقي واخي الشاعر العربي الكبير الاستاذ صالح جودت .

فوزي عطوي